الوداع

آخر أشعار أراجون

ترجمة

مصطفى عبد الغنى



الإبداع
العالمى
شعر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

الاخراج الفنى : عفاف توفيق

الاهــداء

الى زوجــتى



ملاحظات فى النص

لأراجون عندى مكانة خاصـــة لأنه ، فضـــلا عن التزامه بقضايا المجتمع ومعايشته لها ، يتميز عن غيره (باستراتيجية) فكرية دفعته الى اتجاه شعبى (يجسد ثورة أو يدعو لها) وهو الواقع الذى تفرد به عن غيره .. لقد اسقط القافية ، ولم يلتزم فى أعاريضـــه بعدد أقصى من المقاطع ، وتفرد بغزوه لأجواء شعرية غنائية جديدة .

فتمرد اراجون ، اذن ، لم يكن من أجل التمرد بقدر ما كان من أجل التغيير المحسوب النابع من (استراتيجية) ثابتة ، وهو ، ما يفتقر اليه جل ، ان لم يكن كل ، من يكتب أو ينظم الآن فى لغة الضاد .

وثمة علاقة وثيقةبين تمرده الخارجى وتمرده فى دروب المضمون .. لقد غزا عالم الأسطورة كمأثورات بشرية هائلة ترك عليها الزمن بصمته وحملها من الروائح والدلالات ما يصعد بها فوق المنظور وتتحول الى شىء عام ، فاذا هى تحمل المشترك الانسانى والاحســـاس الذاتى فى دلالات مكثفة ، كما غزا التاريخ بشطآنه البعيدة ، مما عمق لديه قضـــية الهوية التى تتشابه ، بشكل ما ، مع قضية الهوية عندنا ، لقد اصطرعت داخله الشخصيات التاريخية بمفرداتها على المستوى النظرى فجاوزت أوروبا به المـــأزق التجريبى ، ذلك ، لأن كتاباته تطرح مشكلات عديدة من بينها التراث (.. واعتباره فعل ايمان بالمستقبل) ، اذ انه يتعدى الأحداث ووقائعها الثابتة الى بلورة تجربة حية فى التاريخ عوضـــا عن الاجتهادات الأيديولوجية وحدها ، ليتأكد ، بما لا يدع مجالا لشك ، ان العنصر الأساسى فى التاريخ ، هو ، المستقبل الذى يحدد على ضوء الحـــاضر .

كما أن عبوره الى عالم الواقعية رسم صورة اخرى من صور التمرد عنده .. وقد تنبه الى هذا فى فترة مبكرة جدا من حياته حين صاح (اصمتوا انكم لا تفهموننى . انا لا أتحدث عن شعركم . لكن عن الشعر الذى يطرح به الانسان الشعر كمصطلح انسانى) فسجل له التاريخ وعيه المبكر بالانسان .

وبعد ، فان تلك الأشعار لا تعطى نفسها للقارىء مباشرة ، لما فيها من عمق لا يدركه الا من يعرف اسلوب الشاعر وعالمه المترامى ، واعترف اننى عانيت ما عانيت من جهد فى ترجمتها ترجمة معنوية لا تهضم ما يريده الشاعر ، كما عانيت فى نقلها وعانيت فى دفعها الى آلة الطباعة .. وكان عزائى فى كل مرة التزام الكاتب بقضايا مجتمعه التى هى ، فى النهاية ، من صميم هموم الانسان .

ولعل فى هذا الاعتراف ما ينهض عذرا لخطأ ارتكبته او لصواب تنكبته ، والكمال غاية بعيدة المنال ، ولا سيما فى ترجمة شعر كشعر أراجون ، وحسبى اننى اجتهدت قدر وسعى ، فمن هو المترجم الذى يستطيع ترجمة أراجون بصورة يمكن القول معها انه وفى واوفى ؟

وأود أن أشيد بالجهد الذى بذلته معى الأستاذة الدكتورة نادية كامل رئيس قسم اللغة الفرنسية وآدابها بجامعة المنيا ، ذلك الجهد الذى تجلى فى مراجعة جزء كبير من قصائد هذا الديوان .

والله الموفق ،

مصطفى عبد الغنى

يونيو ١٩٨٣

أولا : اراجون الشاعر

١ ـ بانوراما أو أراجون

حين أراد الين بوسكييه أحد نقاد فرنسا المعاصرين أن يعرب عن انطباعاته عن (الوداع) ، قصائد اراجون الأخيرة ، لم يجد أمامه غير لفظة معروفة فى الآداب الغربية اليوم ، وهى لفظة Kaléidoscope ويقصد بها تلك الآلة الصغيرة التى تحتوى على جميع ألوان الطيف وتوزعها توزيعا أوكستروليا بديعا .

ويبدو أننا غير مستطيعين ، هنا أن نقدم هذه الألوان كلها ، أو الباقة المشرقة ، دون أن نتوقف هنيهة ، أمام مادته الضخمة ، سواء منها ما يتطرق الى تحولات حياتهالعامة ، أو بعض الخيوط المتمايزة الخارجة منها الساعية اليها ، أو عديد من المناطق النائية متمثلة فى القارة الشعرية الاراجونية .

واذا كانت وقفتنا ستكون سريعة فى الجانبين الأوليين : حياته وتأثره بالفكر المشرقى ، فانها ستكون ، بالنسبة الى شعره أكثر استرسالا ، وبالقدر الذى تسمح به السطور .

اذا كان لكتاب أن يلخص بانوراما فكر صاحبه ، فهو هذا الكتاب الذى كتب قصائده لويس اراجون وصدر قبيل رحيله بشهور

قلائل وضمنه خطوط حياته وتحولاته العريضة على مدى خمس وثمانين سنة هى كل حياة الشاعر •

والقراءة المتأنية لقصائد الديوان ، الذى أراد صاحبه أن يكون الأخير ، تضع أيدينا على ثلاث مراحل من حياته نؤثر أن نفصلها سريعا ••

الأولى حين شارك فى الحركة الدادية فى نهاية العقد الثانى من هذا القرن ، ليلعب بعدها دورا متعاطفا فى الحركة السوريالية (فوق الواقعية) مثل فيها تمرد جيله على معطيات عصره فى العقد الثالث ، فأضاف الى رمزية ريمبو ولوتريامون ومالارميه وأبولينير وعيا متصاعدا بمجتمعه فاذا بنا نلمح فى الصور الكلاسيكية الشعرية الأولى التى كتبها عديدا من ملامح الواقعية وارهاصاتها منذ فترة مبكرة من حياته وهو ما نلمسه واضحا فى الأعمال التى تحمل هذه الروح من أمثال انيسيه أو بانوراما ومغامرات تليماك وفلاح باريس وغير ذلك •

وقد امتد الوعى الواقعى ليتجسد ، بعد ذلك ، فى المرحلة الثانية فى قضايا محيطه مغرقا فى الانتماء الواقعى حتى أن العديد من النقاد الغربيين صنفوا ، ويصنفون أهم أعمال اراجون وأشهرها فى تلك الفترة تحت اسم (المنشورات) سواء فى ثورته فى الفكر أو فى تحديه للأسلوب ، وقد كانت تلك المرحلة التى أخرج فيها عديدا من أعماله التى تؤكد هذا الاتجاه وتسير نحوه ، ومن أهمها أجراس بال والأحياء الجميلة ، فتمكن من توظيف الشخصيات التاريخية فى عهد الجمهورية الثالثة فى نسيج فكره الواقعى •

كما أكدت قصائد الديوان فى ترتيبها ذلك المنحى الداخلى الذى حاول أن يعبر عنه فى عديد من مقالاته التى نشرها فيما قبل فى (هذا المساء) الجريدة التى رأس تحريرها •

ولعل المرحلة الأخيرة من حياته كانت أخصب مراحل تطوره الفكرى اذ صهر فكره فى تجربة الحرب العالمية الثانية ، وكتب أشعاره فى الثكنات والقطار وغرف الانتظار ودنكرك ، كما نظم احدى قصائده فى السجن ، وهرب تحت وابل من الرصاص ، وانتهت الحرب ليبدأ تجربته الابداعية الممتدة ، وقد كان أهم نتاج هذه الفترة فى بداية الأربعينات حين كتب (انكسار القلب) ،التجربة الفريدة التى مزج فيها بين الشعر الكلاسى والروح الشعرى الشعبى المعاصر له ، وتوالت أعماله على مدى السنوات التالية وأهمها : عيون الزا والزا ومجنون الزا الى غيرها من الكتابات التى كونت نسيج اراجون النادر ، ذلك النسيج الذى يجمع بين الفنية والجمالية فى التعبير والالتزام والارتباط الوثيق فى النظر تجاه مجتمعه ، وقد بدا هذا واضحا فى حياته بقدر ما بدا واضحا فى كتاباته .

واذا تعددت الرؤى والايحاءات فى آخر أعمال اراجون الشعرية، فان ثمة خطوطا أخرى لا ينبغى لقارىء أن يغفلها ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

ـ الالتزام بالمجتمع ولا سيما منذ الثلاثينات حيث كانت أبرز أعماله الروائية التى اختار لها عنوان (العالم الواقعى) تلقى رواجا فى الأوساط الأدبية ولمدة تصل الى سبعة عشر عاما ، ففى تلك الفترة كان تطوره الحقيقى فى سبيله الى النضج ورؤيته الواسعة العميقة فى طريقها الى الاكتمال سواء فى اتفاقه مع عديد من الفرق الفكرية حينئذأو افتراقه عنها ، بل أن آخر قصائده ، كما سنرى ، تؤكد أنه مع عدم تخليه عن السريالية والحداثة الروائية فى طورها الأخير ، ثم تحليقه فى أجواء تجريبية شتى ، لم ينسه التزامه بالعالم الخارجى عن كيانه .

ـ أما ثانى الخطوط وأبرزها ، فيمكن أن نلمسه بشكل واضح

جدا فى عديد من قصائده ، وعلى الرغم ما يعتقد معه القارىء أن فكر الشاعر هنا يتعارض مع عقيدته ، فان صفحات الكتاب التى لا تزيد على المائتين صفحة من القطع المتوسط تؤكد على تأثره الشديد بالفلسفة الروحية العربية التى تنتمى الى الفكر والاحساس الصوفى المشرقى أكثر من انتمائها الى فكر واحساس أية ثقافة أخرى ، فالمعروف أن عددا كبيرا من الكتاب الغربيين تأثروا بالفكر العربى فى فترة من فترات حياتهم • كما أن أراجون ، كالأكثر من مواطنيه ، تأثر بهذا الفكر وكان مصدر التأثير (ماسينون) أحد المستشرقين الذين أثروا فى الأدب الفرنسى بنقل العديد من ملامح الفكر العربى فى الفلسة والأدب فى طور تطوره ونضجه وهو أحد الذين أولوا الفكر المتصور فى الاسلام عناية كبيرة مثل ترجمة (الحلاج) ، ومن ثم فان روحا فلسفية لا يخطئها القارىء تظهر فى أقصى درجاتها بين ألفاظ الشاعر ومشاعره واذا أردنا قصيدة معينة تؤكد على هذا التأثير سنجد قصيدة (الحوارى الثالث عشر) ، وسنقف فيما بعد هذا وقفة أبعد •

واذا كانت الضرورة جعلتنا نتوقف عند بانوراما حياة اراجون ، فان جانب التصوف المشرقى ، لابد من الاشارة اليها أيضا ، ولو بشكل أفقى خاطف قبل أن نصل الى مناطق الشعر بشكل محدد عند صاحب (الوداع) ••

فلنر ، أهم منابع التأثير المشرقى فى فكر اراجون

٢ ـ عالم التصوف المشرقى

والحديث عن اراجون يزيد ويتسع شأنه شأن أى أديب تشل أعماله قيمة واعية حين تتحدث عن قيمة الوعى فى مواقفه وقيمة الشمولية •• فاذا كانت الواقعية أهم سمات فكره التى سيطرت عليه

منذ عقدى الأربعينات والخمسينات ، فان الشمولية ونظرة التصــوف المشرقية خاصة هى التى تدفعنا للتوقف عند الشاعر الذى رفض العيش فى اطاره السيسيولوجى بل جاوزه لآفاق أبعد .

وهنا نكون قد توقفنا مباشرة أمام أهم منابع اراجون ، فمما لاشك فيه أن أثر أراجون فى الفكر العربى كان من الوضوح بحيث لايمكن اغفاله بأية حال .. وبداهة ، فنحن لا نريد هنا أن نشير لفكر اراجون فنقول : هذه بضاعتنا ردت الينا باعتبار اننا واجدون فيه كثيرا من مظاهر التأثر بالفكر العربى ونزهو به ، بل ، هدفنا ، أن نؤصل بفكرنا العربى فى العالم المعاصر ، فاذا كان الفكر الغربى يفرض نفسه علينا اليوم بحكم اننا نعيش فى عالم حضارته ، فاننا فى سبيل البحث عن هوية عربية ، موجودة بالفعل ، لايمكن تجاهل هــذه الخطوط الفضية الدقيقة ، التى تسهم فى تكوين نسيج الفكر الغربى بينما تدين فى وجودها للفكر العربى .

وهنا نكون قد حددنا هدفنــا ، فأراجون شاعر وأديب فرنسى يقترب فى خصوصيته وكتاباته من درجة الفكر وهو صاحب اســهام بموقفه فى تطور (الواقعية الاشتراكية) كما نعرفها اليوم ، وعلى هذا لا يمكن ، ونحن نقرأ أعماله ، ان نغفل فيها المؤثرات الخاصــة بنا .. ويمكن أن نجد فى (مجنون الزا) أكثر هذه المؤثرات وأبعدها برهانا ، ان الفكر الاراجونى يقسم هــذا العمل الى ستة أقسام وخاتمة بحوالى مئتى مقطوعة تأتى بين الشــعر والنثر يتبعها بمعجم يضم مصطلحات تاريخية ولغوية وفلسفية مع أشارات تفسير الكثير من العبارات عربية الأصل المتناثرة هنا وهناك بشكل مكثف .

والعمل ليس قصة حب عظيمة كما يبدو ، وليس عرضا لمعلومات اراجون الواسعة وحذقه التاريخى فى الفكر العربى من خــلال الرصد المنهجى للحضــارتين العربية والأندليسية وانما هو (اختزال لمســار

طويل ومعقد من الكتابة • يستشرف فيها أجواء فلسفية ــ ميثولوجيا بعد أن راوح كثيرا فوق براكين السياسة والأيديولوجيا والحب فى مرحــلة « المجنون » لهيب ما ورائى ، تجــاوز للأمن فى تسلسلتيه الحتمين ، معانقة للنبوة على تخوم الولادة والموت) ، كما يحاول أحد نقاده (د• فؤاد أبو منصور فى كتابه عنه) أن يفسر العمل •

ان العمل لا يمكن أن يمنح وصفا عاما أو حتى جزئيا بأية حال ، فعلى الرغم من انه يزخر بالموز ، ويجاوز دلالات العمل السياسى للبحث فى (خانة الحفاظ على تجذر الانسان فى هويته الأصلية) ، فانه يحمل العديد من المؤثرات العربيــة التى حفرت مجرى عنيفــا فى وجدان اراجون وهو يكتبه ، ويفشــل المرء اذا حــاول رصــد مثل هــذه المؤثرات ، وان كنا هنا سنحاول رصــد بعض هــذه المؤثرات ، لعل من أهمها :

أولا ــ البعد التاريخى الذى ظهر واضحا فى (مجنون الزا) على سبيل المثال ، فمن المفروغ منه علميا الآن أن حركة التروبادور التى عرفت فى القرون الوسطى فى أوروبا والتى كان يمثلها أولئك الشعراء الجائلون بأشعارهم العربية وغنائهم الذى يعود بأصــوله الى العصر العربى فى الأندلس ولاسيما الحس الحــاد والميز فى التصــوف الذى يجمع بين الغزل والدين • هذه الحركة تأثرت بالأدب العربى والتصوف العربى خاصة بعد سقوط الأندلس العربية ، وأثرت بدورها فى أعماق الشعراء والأدباء الغربيين ومنهم اراجون الذى استوحى مادته الخام من أيام العرب الأخيرة فى غرناطة الأندلسية ، فضلا عن قصص الحب العذرى المشهورة هناك ومن بينها قصة مجنون ليلى وكثير عزة (أنظر دلالة مشابهة اسم عزة العربية والزا الفرنسية ــ زوجته) •

الأكثر من هذا ان نظرة خاطفة الى عناوين أشهر كتبة (عيون الزا) تؤكد لنا مثل هــذا التأثر ، فمن هــذه العنــاوين (غرناطــة ،

ابن عبد الله ، زبيدة ، رثاء الأندلس ، أبو القاسم ، سمحا ، عائشة ، الخوارج ، المعتزلة ، قيس العـامى ، أبو عبد الله) •• الى آخـر العمل الذى يزخر بالعناوين والمؤثرات العربية ، ولمـاذا نطيل الحديث حول هـذا ، ونحن نعلم باعتراف النص وكاتبه ، ان موضـوع الكتاب يدور حول حادثة تاريخية معروفة هى سقوط غرناطة الأندلسية ــ العربية التى سلمها المسلمون فى ظروف بالغة الصعوبة ليد آخرى •

ثانيا ــ هذا هو أحد البعدين اللذين أثرا فى فـكر اراجون فى تطوره الزمنى ، أما البعد الآخر ، فهو ، البعد الذاتى ، فالمعروف أن اراجون وحده ، دون شـعراء عصره كان يقرأ الفرنسية القديمـة ، فرنسية القرون الوسطى ، حيث كان يعيش الشعب الفرنسى فى اطـار جغرافى بجانب الشـعب العربى فى الأندلس ، وحيث كانت قدرتـه الخاصة تلك تضيف الى وجدانه العديد من العوامل التى تثرى التجربة فضلا عن أن المناخ حوله كان مليئا بتلك العوامل •

فكما أن عددا كبيرا من المفكرين والكتاب الفرنسيين اعترفوا بتأثير ماسينون وارنالنديز فى فكرهم ، فان اراجون لم يخف هـذا قط وتأثير هذا المستشرق المعروف الذى كتب كثيرا فى التصـوف الاسلامى وشخصياته الكثيرة كبير لدرجة لا يمكن انكارها • ان اراجون يقول على لسان جاك بيرك فى أحد أعماله ان بن بيللا دعاه عـام ١٩٦٢ لزيارة الجزائر • فى مطـار أورلى رادته فكره (مجنون الزا) ، ترسم مرحلة ما بعد المغرب العربى من الاستعمار : « أردت أن أشيد بهذا التحرر •• يتابع اراجون ، لذلك تعمقت فى الشعر العربى كما ترجمه مستشرقون أمثال لوى ماسينون • ودخلت الى مجـاهل الكتابة والعروض والنحو ، لقد أعجبتنى بشـكل خاص الصـوفية المشرقية ، كما تبلورت مع « مجنون ليلى » حيث سطر الشاعر العذر هيامه بهذه المرأة المستحيلة هياما يصل الى درجة العبادة » •

ولعل من المفيد أن نذكر فى هذا الصدد أن هناك دراســة قيمة عن الحلاج وبعض المتصوفين المسلمين ترجمت للعربية أخيرا ومثلت مع غيرها منابع التأثير الاسلامى فى الغرب •

ومهما يكن ، فنحن نجد فى (وداعه) كثيرا من هــذه المؤثرات ، كتلك القصيدة (الحوارى الثالث عشر) التى يتخيل فيهــا يهوذا ، الحوارى الخــائن المعروف ، وهو يكتب عن الصــداقة والصــديق والانسان ، يقول :

هل الصديق هو الانسان الذى يخونك فى أوج صداقته
ومن هو الذى يخونك انه يهوذا
الاسخريوطى الحوارى الثالث عشر فهو يعود دائما ها ها
أمى من المستحسن أن أتحدث عن شى آخر فالانســان
لا يكتب شعرا موضوعه
طين وهل حقيقة أنا ملزم بكتابة قصيدة
لا هــدف منهــا ولا غــاية
يا عزيــزى اليك خــدى
قبــلة

٣ ـ قــارة الشــعر

فاذا جاوزنا قطب التصوف المشرقى وتراثه الخصب الى التعرف على قطب اراجون الشعرى ، فسوف نجدنا أمام فكر طوع لخدمة الانسانية ، وتبنى هموم الحيــاة اليوميــة والأحــداث السياســية والأيديولوجية ، وقد كان المناخ العام الذى ساد قارته الشعرية فى هذا كله هو التمرد المطلق •

فاذا علمنا أن هذا التمرد المطلق الذى آثره تمثل تلك (الروح الجديدة) التى تمثلها شاعر آخر وصديق له (جيوم أبولينير) حين

رأى انها الحرية التي يعالج الشاعر بها كل مادة ممكنة بغير اعتبار لرقيها أو شرفها أو أهميتها .. لأدركنا اننا أمام أهم سمات أراجون وأزهى خيوط نسيجه الخاص . فالشاعر يستطيع أن يجد مادته الهامة فى الكواكب والمحيطات كما يجدها فى منديل ملقى على الأرض أو فى ثقاب مشتعل . ان خياله يرى فى أسمى الأشياء وأحقرها ما لم يره أحد وأذنه تسمع فيها ما لم يسمعه انسان قبله . انه يحولها الى مفاجآت مثيرة وأفراح جديدة ولو كان فى تحملها العذاب كل العذاب ، ان أقل الأشياء وأحقرها شأنا يصلح أن يكون معبرا لنهاية مجهولة تلمع فيها أضواء المعانى المتعددة كما يصلح أن يكون سبيلا مؤديا الى غياهب اللاشعور (يمكن التعرف على المزيد من صفات هـذه الروح العود لكتاب . عبد الغفار مكاوى : ثورة الشعر الحديث) .

ومن هنا ، يمـكن أن ندلف الى عدة ظواهر هامـة ، تمثل فى مجملها ، تلك الظواهر التى تتداعى فى القصائد الأخيرة ، فلنتمهل عندها ، واضعين فى الاعتبار انها تمثل مع غيرها أهم ما يميز تطور الشعر الفرنسى المعاصر اليوم .

***

ربما كان تحدى كل القوانين الشعرية هو أبرز تلك الظواهر على الاطلاق ، وتتفاوت درجات هـذا التمرد سواء فى اللغة .. حتى ليقول فى أحد كتبه (ليس لى لغة ، فكل ما أملكه لا يزيد عن مجموعة من الصور والتشبيهات والرموز) ، أو فى التمرد على التصنيفات المدرسية والأكاديمية ، وهو ما يؤكده فى الجزء الأول من (الأثر الشعبى) ، وحاول تطبيقه فى شىء من الجسارة فى (انكسار القلب) قصـائده التى كتبها عـام ١٩٤٠ .. ففى هـذا الاتجاه تطور من القصـيدة الحرة التى كتبها قبل ذلك الى نوع من القوافى المتناثرة اللحنية لينتهى

منه ، واليه ، فى (الوداع) ، بما يعنى انتهاء رحلة التمرد الطويلة الى شىء من رفض كل القوانين الشعرية بلا استثناء .

***

وربما يكون هذا مرتبطا بشكل ما بما نجده عند أراجون خاصة من التزاوج بين الشعر والنثر ، حتى لنجده فى (مجنون الزا) يصل فى هذا الصدد الى أقصاه ، منطلقا من اقتناع داخلى يرى انتفاء الاختلاف الجوهرى بين الشعر والنثر ، وانتفاء الاختلاف الجذرى بين القصيدة والرواية الى درجة يصرح معها لأحد سائليه انه (بوسعنا اعتبار المجنون قصيدة ورواية فى آن) الأمر الذى يطلق تحديا جديدا للمفاهيم السائدة ، وأراجون يفسر هذا الأمر على النحو التالى :

(فى معترك النثر ـ الشعر او القصيدة ـ الرواية ، المهم هو الاحساس الشعرى . انه شرط اساسى يفرض نفسه على افق البحث : ان نحب كل الحب . خارج هذا ((الطبق المبدع)) ، توصد الأسرار ، وتغلق المعانى ، ولا يبقى الا طوفان من الأنانيات والأكاذيب المظفرة)

وهذه الفوارق الوهمية التى نجدها بين الشعر والنثر تظهر واضحة أشد ما تكون فى عديد من قصائد كتابه الأخير (الوداع) اذ يحمل عديدا من القصائد التى تزخر بضروب التزاوج بين النوعين ـ الشعر والنثر ـ سواء من وحدة البيت أو تقطعه .

واذن ، فأراجون يطور كثيرا من البنية الكلاسية للبيت الشعرى ومن الداخل ، ويحتفظ بالقافية متباعدة أو متقاربة ، مركزا فى جميع الحالات على تناغمها الرمزى أو النغمى ، وهو فى الوقت نفسه يتمسك بالمقطع الشعرى وان لم يحافظ على تركيبه التقليدى اذ حرص

على تقطيعه ، واعادة تركيبه من جديد بهدف واحد ، هو : (غنائه) مستلهما ، على حد قوله ، خطى أبولينير الذى زاوج ببراعة بين التقليد والابتكار ، مبدعا قالبا حديثا للعروض ، قد يبدو مستهلكا فى ظاهره وكأنه وزن البيت الشعرى الكلاسى ، من دون أن يكون كذلك بالضرورة ، مع طاقات تعبيرية لم يستوعبها البيت الكلاسى .

وهذه الرقة الغنائية التى حرص عليها كثيرا تعد من أهم السمات التى طور من خلالها شعره ، وهنا ، يمكن أن نقف على الظاهرة الثانية، ظاهرة اقتران شعره الذاتى بشعره الشعبى ، ومن ثم تغيير مهمة الشعر ودوره .

***

قد يكون من المستغرب ، لدى البعض ، أن يزاوج بين الشعر بلغته الفصحى ، وبين الشعر بلغته الشعبية ، أو يحول القصيدة بمكنوناتها وأسرارها المتعارف عليها منذ هوميروس الى شىء أشبه بالأغنية العامة التى تزخر بضروب الأمثلة الشعبية والمأثورات فضلا عن المفاهيم السائدة .. غير أن الأمر يختلف تماما بالنسبة لأراجون ، ذلك لأن الفترة التى تعتبر بين عامى (١٩٥٥/٣٢) قمة الخصب الواقعى لديه تتميز بالاقتراب من الجو الشعبى الى حد كبير ، ويمتد هذا فى فترة الخصب الروائى لديه من منتصف الستينات والى نهاية حياته ليربط بين مسميات القصيدة بشكلها الكلاسى ودلالاتها على المستوى الشعبى العام ، وكما نجد ذلك فى آخر دواوينه الشعرية سواء (الغرف ٦٩) أو (الوداع ٨٢) ، كذلك ، نجده فى تفاوت الدرجات فى أعماله السابقة كلها .

وجدلية الارتباط بالواقع والتعبير عنه بشكل كلاسى أو تقليدى أمر خاطىء برهن على خطئه أراجون نفسه ، فلكى يكون الشاعر

واعيا ، عليه أن يكون شعبيا ، يقترب من اللغة (السوقية) كما يفهم ، بقدر ما يطوع مقدراته الفنيــة لخدمة التطور اليومى بالقدر الذى يحفزه الى الاتصال به لا الانفصال عنه •

ان أراجون يرصد لفترة التحول لديه حين قرأ رواية (النار) لهنرى باربوس ، فرأى الى أى حد أسهمت الرواية فى هــذا المنظور ، ثم رأى كيف أن الظروف استنفدت هــذه الامكانية الروائية ، ومن ثم ، فقد وجب عليه حينئذ البحث عن شكل مغاير آخر ، فاختـــار (الشعر) ليضطلع بهــذا الدور ، الأمر الذى استلزم النظر فى قدرة استيعاب الجمهور للقصيدة ـــ الأفيش أو الاعلان الذى من شأنه أن يفجر أكبر عدد من الآراء والاعتراضات فى هذا الصدد :

(قلت انه من الضرورى جعل القصيدة أغنية ترددها آلاف الحناجر ، خصــوصا وان ثمة فقراء كثيرين لا يستطيعون شراء القواميس والمعــاجم لكى يفهموا معنى الألفاظ) •

أراجون لم يتردد فى أن يسلك هــذا الطريق ، ومن هنا ، فاننا نجد فى آخر أعماله (الوداع) ما يعكس هذه الحقيقة ، فهو فضـــلا عن ايثاره للغنائية بشكل عام ، يضيف الى عناوينه كلمـــات تؤكد ما يذهب اليه مثل القصيدة التى يكتب لها عنوان (أغنية أخرى فى الحب الضـــائع) ، وهو تأكيدا للنغمة السيرالية التى آثرها يضـــع مقاطع غنائية متجاورة قد لا تشترك فى شىء قدر اشتراكها فى التضمين الغنائى الموحى •

ولهذا كله ، نجد قصائده تزخر بالأمثال الشعبية وتستلهم النغمات الشعبية والألحـــان العامة ، وهو يفسر ، ولعه بالارث الأوروبى من الحكايات والشخصيات التى يجهد فى التعبير بها •

وعلى هذا ، يبدو أن تمرد أراجون لم يتوقف عند تأمل قدرات العروض الفرنسى وتفجير مكنوناتها اللحنية ، وانما جاوز ذلك الى المضمون العام ، فالفعل الشعرى كان أقوى الغرائز ، غير أن وعيه بأدوات اللغة الشعرية وأسرارها مكنه من عدم الهبوط الى السوقية ، والترفع على رطانة المعنى وغموضـه ، فأعد تركيب اللغة بهدف واحد ، هو ، غنائهـا لتهبط الى الشعب ، وربما يكون هـذا السبب فى أن نلاحظ أن التقطيع الشـكلى لا يأتى فى أول القصـيدة مبـاشرة ، وما يسيطر على بدايات قصائده هو ايقاع التنفس المستمر والمتغاير ، الذى لا يخرج مع تردد المقاطع وتقطيعها عن نفس طويل متباين غير متنافر معا •

لقد أدرك أراجون أن الشعر لابد أن يكون غنائيا ، ومن ثم ، فطن الى دوره الحقيقى فى مجتمع معاصر يزخر بقضايا وهموم الواقع المر ، فى زمن تداخلت فيه الخيوط : الجرح والسكين ، المـادة والروح، الأبيض والأسود ••

كف عن ضجيج اكسترالى • ثمة فقراء كثيرون
لا يستطيعون شراء قواميس ومعاجم
يفهمون بواسطتها معانى الألفاظ
انهم يفضلون ويحبون الألفاظ العادية
التى تسمح لهم بترديدها
اجيبك اننى سافعـل
سوف أنشد ما ينشده كل فم

***

يضاف الى قيمـة الوعى باللغة وبمهمتها الحقيقية وعيا ثالثا فى الافادة من المـاضى سواء بوجهه الأسطورى أو التاريخى •

ان شاعرنا يحتفى بالمــاضى فى قارته ، فثمة علاقة غزلية لايمكن تجاهل مؤثراتها الدلالية الغزيرة بين الشعر والتاريخ ، وهو ان كان استغرق زمنا طويلا فى عالم الرواية بوجهها (التاريخى) ، فهو يولع ، فى شعره ، بلا استثناء بعالم الميثولوجيا أو التاريخ ، وكما رأينا هــذا واضحا فى (مجنون الزا) ، فنحن نجده فى آخر قصائده (الوداع) ، يســتدعى شخوص أوديسا فى قصــيدة بهذا العنوان ويجاوزها الى (الالياذة) ، وتتردد كثير من الشــخوص والأماكن : الارخبيل ، أوليسيز ، أفيجينيا ، أجامسنون) .. الى غير ذلك ، كما نلحظ استدعاء الارث المشرقى فى قصيدته (الحوارى الثالث عشر) المشار اليها ، كما نجد ذلك فى أولئك القديسين ، الذين راح يستدعيهم ويتشبه بهم ويعبر عنهم فى حالات معاصرة مثل القديس سيليفستر الذى اهــدى اليه قصيدة (آخر العام) ، والعود الى جميع أشعاره القديمة نلمح هــذا الوجه المميز لأراجون ، ففى ديوانه (رواية غير مكتملة) ، على سبيل المثال ، تقول القصيدة :

لا اعرف النوم كمــا
يعرفــه الآخــرون
وكل ما اعــرف
فى تفســير حــالتى
فى تفسير هذا النوم الذى يشبه
ظل عملاق على جدار مدينتى
ان العالم الذى اضنانى
أنــا المجنون انــكره
هذاالعالم يشبه احــلام يقظة
او يشبه القديس دينيس
الذى يمضى وراسه فى يديه
ويجهــل الطــريق
انا الذى يحمل ماضيه
دون ان يشفق عليه احد

والربط بين الحس المعاصر والحس التاريخى حقيقة مؤكدة لديه ، فلا ينبغى أن يعتقد أن ملحمة المجنون على سبيل المثال تعكس الأحداث الأندلسية من وثائقها وحسب ، فهو يبحث فيها عن صدى الأحـداث المعاصرة ودلالاتها ، فالفعل التاريخى فعل معاصر ان لم يكن للمستقبل، وما أكثر القصـائد التى لايمكن حصرها للتدليل على هـذا سواء بين الحربين العظميين أو بعدهما ، ولعل من أشهرها قصيدة (ليلة ايار) التى كتبها عام ١٩٤٠ مستشفا فيها مجازر الانسان فى الحرب القادمة .

ان فكرته الأساسية وراء هذا تلخصها عبارته التى يقول فيها :

(اطالب الشعر . يحتضن استعارات ورموزا روحانيـة ـ وما ورائية تضرب بجذورها بعيـدا فى الضمير الانسانى ، محتفظة بنضارتها كتعبير حاد عن الغنائيـة . الشـعر وحده يجرؤ على طرق بـاب الالهيات ، مزاوجا فى سياق ملحمى هيولى الأرضيات واثيرى الروحانيات . من هنا لا اتردد فى الاشـارة بالقديس يوحنا الصليبى ، هذا الشاعر الصـوفى من القرون الوسطى وبيول كلوديل وهو شاعر كاثوليكى من القرن العشرين ، توكيدا على رحـابة الجدليـة المـادية التى لا تستثنى اية شرارة ابداعيـة أو أى زهرة فى غابة من نرجس) .

واذن ، فان حضور الميثولوجيا لازمة فى تلمس الأيديولوجيـا ، أية أيديولوجية تستهدف الامتزاج بروح الانسان وتمثلها ، كما أن حضور التاريخ لازم فى تلمس الحـاضر والبحث عن المستقبل وقد حرص عليه أراجون الى درجة غير عادية .

***

وثمة ظاهرة تكاد تكون مقصورة على أراجون خاصـة ، وتشكل قسما مشتركا لكل أعماله ، ونقصد بها أن التيارات التى تنقل بين معالمها

والمذاهب التى عرفهـا وتراوح الفعل لديه فى كل منهـا بين السلب والايجاب ، لم تحصره فى اطـار ضيق ، ومن ثم ، فقد اعتبر أراجون شاعر الخاصة ، كما هو شاعر العامة ، وتراوحت تبعا لهذا مصـادر التأثير من الارث أو الحاضر •• لينتهى كل هذا بشىء أشبه بالتجربة الغنائيـة ••

لقد عاش أراجون قرابة قرن من الزمان عرف خلالها بداية تيارات وتلاشى أخرى ، غير أن أهم التيارات التى عرفها يمكن ايجازها فى : الدادية والسوريالية والواقعية والتجريبية الروائية والغنائية الجريحة التى عرفناها فى قصائده الأخيرة ويمكن أن ننتقل من الاجمـال الى التفصيل لنرى هذا التطور وأثره فى شاعرنا •

لم تكد لتنتهى الحرب الأولى حتى بدأت حركة (الدادية) ، التى تنتمى الى تيار شعرى راديكالى يستهدف تنظيف العالم من بقايا حرب مدمرة ، ونظم اتباعها الذين كانوا يعتنقون شيئا أشبه بالعدميـة فى شـعرهم الذى لم يتأثر بمظـاهر المـاضى من أعاريض شـعرية أو تقاليد كلاسـية •• وأراجون وان تأثر بأولئك ، الا أنه جاوزها سريعا بعد نشأتها عام ١٩١٩ ليبدأ زمن (السوريالية) •• والسوريالية وان كانت ، كسابقتها شاهدا ، على مادية العصر ، فانهـا تأثرت فى المنحى الابداعى بكثير ممن عاصروها أو شـاركوا فيهـا مثل أندريه بيرتون وبول أيلوار وفرويد وأبولينير ، كما تأثرت بعديد من رواد الرمز فى القرن المـاضى كرأمبو ومالارميه •

ومن هذه الاسماء وذلك المناخ السائد يمكن أن نلخص مبادىء السوريالية كما عرفها أراجون ، بأنها ، دعت الى منح المشاعر الذاتية والأحلام والرؤى حيزا كبيرا فى الاهتمام الابداعى والفكرى ذاهبة الى أن الحقيقة هى مزيج من الوعى واللاوعى ومن المعقول واللامعقول، وقد اصطدمت تلك الأفكار فيما بعد بكثير من اقتناع روادها أنفسهم

مثل لويس أراجون الذى تغير مفهومه عنهـا مع الوقت ، فقد كان يختلف مع كون السيرالية اقتناع نرجسى خيالى وحسب كمـا كان يصفها ، ويفترق مع أولئك الذين رأوا :

(فكرة العمل الاجتماعى فى الشعر مركزا على عدم توخيه لقضايا ثانوية .. بينما الشعر لا يستهدف سوى الثورة الشاملة . لعبة الأسماء التاريخية ليست بالأهمية التى يعتقدها البعض . المحور الأساسى هو التحرير الشـامل للانسـان على الصـعيد النفسى والأخلاقى والسـياسى . وهذا يعنى أن بريتون يرى تعارضا بين العقل السوريالى والعقل الاجتماعى على الرغم من ارتباطهما . كنت اعتقد ان الوضع الانسانى والوضـع الاجتماعى رهان معركة واحدة للقصـيدة الشعرية) .

وهذا يفسر كيف جاوز أراجون السوريالية كما فهمها مع معتنقيها أول مرة ولا سيما بعد أن عبر الى الواقعية غارقا الى آذنية فى فترتها الذهبية بين (عامى ١٩٥٥/٣٢) قبل أن يتأنى قليلا عند مفترق الحداثة الروائية منذ منتصف الخمسينات الى عقد من الزمان فيما بعد ما لبث بعدها أن استقر، حتى اليوم الأخير ، أسير اللحن الغنائى الواقعى أو اللحن الأراجونى المميز .

ان من يتأمل الفترة الأخـيرة من حيـاة الشـاعر ، حيث كتب قصائده الأخيرة ، يجد نزعته تشير الى التجريبية الخاصة ، الذى لم يكن فيها أسـير مذهب أو تيار خاص بقدر ما كان أسـيرا لمغامرات وتحديات ذاتية جدا .

ان قصائد أراجون الأخيرة تحتوى على نتاج الأزمنة التى عاشها، وفضلا عن تمرده فى عديد من المجالات التى سبقت الاشارة اليها ، فان ثمة ملامح مركزة لا مندوحة من ذكرها هنا تحدد خيوط الشخصية ودلالاتها بشكل أكثر تحديداً ، وتلخص على النحو التالى :

(أ) ربيع السوريالية ــ حقيقة أن أراجون عبر الربيع السوريالى منذ نهاية العشرينات الى درجة أنه أحرق آخر أعماله الضخمة من هذا (الدفاع عن اللانهاية) ، غير انه من الملاحظ أن ربيع السوريالية يمتد فى كل أعماله التالية ، فقد مثلت السوريالية الجديدة أهم الرواسب وأخصبها فى التأثير على وجدانه الذى عرف الحلم والشعر والغنائيــة والرومانسية وما الى ذلك من العناصر المتفردة فى قصائده الأخيرة الى حد دفع البعض ليقول ان أراجون راح (يستطلع فى ميادين ومجالات غير معروفة جديدة وتجريبية) •

(ب) شعر أبوللوا ــ يرتبط بذلك ان شاعرا كأراجون حير نقاده كثيرا ، فبينما يصف البعض بعض كتاباته بأنها كتابة المنشورات ، فان البعض الآخر راح يتساءل عن سر الثنائية القائمــة فى فكره بين كونه شاعرا وكونه محبا للواقع مشاركا فيه ، غافلين عن أن الشاعر ليس من الضرورى أن يكون تابعا لأبوللو اله الابداع والنور ورفيقا لـ هفستس اله الصنعة والابتكار ، وهو السبب الذى جعله يجــاوز السيرالية كما رسمت له الى ســيرالية عرفهــا فى شعره (الحــركة الدؤوب ــ البشاشــة الكبرى ــ مضطهــد مضطهد) وروايــاته (مغامرات تليماك ــ موجة أحــلام) تستهدف الخروج من مستنقع البلاغة وصور الجمال المستهلكة الى الواقع الحى •• وهو ما رسمته لنا قصائده الأخيرة •

(جـ) روح المجنون ــ أن روح (مجنون الزا) التى تظهــر أراجون على أنه شــاعر ملحمى على نســق (اليــاذة) هوميروس و (نشيد) بابليونيرودا (العظيم) •• هى الروح التى تداخلت فى نسيج أعمــاله كلها فيما بعد ، فأصــداء الملحمــة نجدهــا فى أغلب قصــائد (الوداع) ســواء باستنطاق المــاضى من أجــل المستقبل أو لتفريغ الأســطورة فى الوجــدان المعــاصر بتكثيف الدلالات ،

أو استدعاء من يريد ليمنحه رموز الحاضر .. وبهذا يكون الشكل الملحمي كالفكرة السيرالية تنسحب على أعماله وتلونها ببلورة خاصة .

(د) الوداع — وعلى هذا يمكن أن نجد في آخر قصائد أراجون (الوداع) كل هذه العناصر السابقة .. فقصائد الوداع تصطدم بحدودها الأخيرة كلغة حاول فيها صاحبها ضرب معول التغيير واحداث الصدمة في أكثر من مكان لنصف قرن أو يزيد ، كما يصطدم الشاعر بالزمن فيجعله البطل الحقيقي في مسيرته الشعرية ، ولاسيما ، وان لفظة (الزمن) وحدها تمثل أهم المفردات التي نجدها في نهايات حياته .. كما يمكن أن يرصد في أشعاره الأخيرة اعتراف حي لتجاوز كل التيارات الفكرية لتنتهي الى شاطىء لويس أراجون .

وبعد ، فان المفردات الشعرية عند شاعرنا تمتد بخطوطها لتجاوز المستحيل ، اننا أمام مفردات عديدة في قصائده الأخيرة لعل من أهمها : الوحدة ، الجرح ، الصمت ، المرأة ، المرآة ، الساعة ، الزمن ، الشباب ، الذكرى ، الحلم ، الذاكرة ، النسيان .. الى آخر هذه المفردات المميزة التي ترسم قارة الشعر عند أراجون وتحدد موقعه الحقيقي في الكون الذي عاش فيه جريحا وحيدا في آخريات حياته .

بعض المراجع والمصادر

— Les Nouvelles littéraire Jan. 83
— Supplément de **Libérations.** Jan V. 83
— Le monde des Livres d'Alain Basquet, jan .83
— Les Adieux — Aragon (82)
— Elsa (59)
— **Les yeux d'Elsa** (63)

— أراجون في مواجهة العصر .
— د. فؤاد أبو منصور ، المؤسسة العربية للدراسات . بيروت ٨٢ .
— الزا وعيون الزا ، من شعر أراجون ، ترجمة د. سامية أسعد فؤاد حداد ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٠ .
— مجلة ابداع ، القاهرة ، مارس ١٩٨٥ .

ثانيا : الـــوداع

الشــوك

١

توقف عن الأنين ما من شىء أكثر اثارة للسخرية
من الرجل الذى يئن
اللهم الا الرجل الذى يبكى

٢

اتنزه
وفى داخلى سكين من الظل
اتنزه
مع قطـة فى ذاكرتى
اتنزه
مع باقة من الزهر الذابل
والصور القديمة الصفراء

أتنزه
بملابسى البالية
اتنزه
مع ثقب كبير فى القلب

٣

صدقنى
ما من شىء يؤلم قدر التفكير

٤

كلما كانت القصيدة قصيرة
دخلت فى اللحم

٥

يجب طرد هذا الشاعر من المدينة
فلا يوجد فيها مكان
لمثال الألم

٦

فعلنا كل شىء لهؤلاء الذين يختنقون
كل شىء لهؤلاء الذين يطلبون الهواء
بنينا على الليل النوافذ

فتحنا فى كل مكان عيـادات
ابعدوا عنا أنين الشكوى هذا

٧

ما من شيء أجمل من الابتسامة
حتى لو كانت على وجه مشوه
ألا يهمك أن تكون جميـلا

٨

احملوا هذى الخطى الجريحة الى مكان آخر

٩

كم أنتم على حق عندما تحولون أعينكم
عمـا ينزف دمـا

١٠

كل شيء فى مكانه بالضبط
أو على الأقل سيكون فيه

١١

أيهـا الشـحاذ
اغسل يديك الممدودتين

١٢

من يقول أنـا أتألم
فانـه ينسى الآخـرين

١٣

لا يكفى أن تصـمت
يجب أن تعرف التحدث عن أشياء أخرى

١٤

ملعون هـذا النبـات
الذى لا يسـعد العين
ليس من حق الشاعر أن يبقى هكذا
دون ازدهـار

١٥

لا يوجـد جـرح
لا يصنع منه قليل من المساحيق
كمـا
لا توجد صيحة لا يمكن تغييرها
الجريمة الوحيدة هى الفعل النشاز

١٦

أتحدث أيضا لأولئك الذين لا يستطيعون النوم

انهم ليسـوا وحدهم اذ كنت أشبههم
أتحدث أيضا لأولئك الذين لا يستطيعون الموت
لمـاذا تقولون اننى أنانى

١٧

الحيـاة مليئـة بالأشـواك
ومـع ذلك فهى الحيـاة

١٨

قد يريحك أحيانا أن تصيح فى الليل

١٩

مرة أخرى بين المرآة وبينك
توجـد من الآن فصـاعدا
عيون الأطفـال المـوتى

٢٠

هل تعرف اسـم الخجل

٢١

حاول أن تدخل فى بيت شعر فرنسى
أن تفسر هذه الكلمة التى تشبه الخنجر
ساقيـة سـيدى يوسـف(*)

(*) اسم بلدة جزائرية ارتكب فيها الفرنسيون جرائم يندى لها الجبين .

العشـــاق

فى عـــام ١٩٠٥ بابلو
بيكاسو كم بلغ من العمر ..
ثلاثة وعشرون أربعـــة وعشرون
آكان فى ربيـــع عمـــره
ربما فى خـــريف عمـــره
يكفى للربيع أن تسوده روح الشباب
أن غرفــــة
العشاق لا تحتاج لغير فراش
حـــدث هـــذا
منذ اثنى عشر عاما حينما جئت
الى شارع سان جرمان رقم ٢٠٢ عند جييوم
أبوللينير حين دخلت سمعت من بعيد صوت سعال
برتـــا(*)

(*)اسم لمدفع المـــانى كان ينطلق كالسعال من آن لآخر فى باريس ابان الحرب العالمية الاولى .

وارتسم الصمت على كل شيء
والأدوار تدور حولي وأنا أهبط السلم
كان هذا يشبه شجرة روبنسن كروزو
وعين
تلمع في منظار الباب
وقطـار ضخم بلون الأفـق
فتح لي الشـاعر
وهو حافي القدمين هابطا من عشه
ها هو الشاعر ذو السيوف السبع
مجروح الرأس ومضمد بالكلوروفورم

لا أذكر بأيـة كلمـة
وبغير هذا القلب الصغير الخافت في أعماقي
كنت ألوح بالشارب الشاحب الصغير
وسنواتي العشرين اللائي يشبهن ريح الأجنحة الهادي
الشمس في شرك المصراع
وكقط للشعر همهم بأبيات مبهمة

أقول يا أبوللينير حان الوقت المناسب كي تأتي

كان يقول لي ماذا يقول لا أذكر وهو يقودني

معتذرا بأن لوحات بيكاسو فى البدروم
عـدا
يده التى تشير الى حائط الحجرة حيث
يمـارس الحب
الى جانبنـا

وكل ما تبقى فانه للقبل والعناق المستمر
ليلا نهارا ونهارا وليلا مع توقف الزمن فى ساعة الحائط
والشفاه على الشفاه وامتزاج الأنفاس
والحيـاة فى العمـق
والفراش حقيقة ثابتـة
وان كان أقل حقيقة من اللحظة الثابتة على اللوحة
اللوحة بالنسبة للعناق الدائم والزمن

والحياة العريضة ليست سوى لغو فارغ
والسينما فيما مضى
حيث يقطع البيانو بلحنه البسيط
الصـمت
وبكل عيونها يتصنت القاعة الى اللحن
وهذه الباقة من الأصابع تعبر
عن أن المرأة جميـلة

أمازلنا بعد فى عهد السينما الصامتة
نصف قرن ولى وما زال اللحن كما هو

نفس الصمت فى الأحيــاء
وعلى الآرائك فى أركان الطرقات

وفى ظــلال البيوت

نجدهم وحدهم هناك لا يعبأون
وقد لفوا الأذرع والسيقان فى ضفيرة واحدة
هؤلاء هم عشاق عام ١٩٠٥

المواعيـد

١

تركتينى عند كل الأبـواب
هجرتينى فى كل الصحارى

بحثت عنك فى الفجر وضيعتك فى الظهيرة
لم تكونى أبدا فى أى مكان وصلت اليه
من يستطيع وصف الصحراء والغرفة تخلو منك
من يقطع انه فى زحام الأحد من يشبهك
هذا يوم صامت مثل رصيف البحر
حيث أناديك ولا تردين على

تركتينى وأنت جامـدة
تركتينى فى كل مكان وهجرتينى بالعيون

بالقلب بالأحلام
تركتينى كجملة ناقصة
فأصبحت كشىء مهمل
مثل من يصيف فى نهاية الصيف
مثل بطاقة فى أحد الأدراج
سقطت منك ولم تأتنى

لم ترينى وأنا أبكى لأنى أدرت وجهى
نظراتك الشيطانية
تنهيدة خالية منى
هل أشفقت أبدا على الملقى
تحت قدميك

٢

لا أجد فيك تلك الدرجة من العذوبة الا حين
تأتين الى
حينئذ تتضوع الألفاظ فى محياك وتموت القوافى
فى حركة وجهك
ليتنى ارتبطت بطيفك وعشت على رنين صوتك
فى أن أعبر همس صوتك
حين أتأهب لك
على قبل كل شىء
أن أتوارى فى دروب نائية
لألقاك

على أن أعثر عليك فى أحلامى
وأضرب لك مواعيد كثيرة لتـأتى مرة واحـدة
من ألف مـرة

٣

لم أعد أعرف بعد الى أى شىء سأنتبه
لم أعـد أعـرف مما سأحميـك
يا حبى أصبح كل شىء عاصفة
أصـبح خطـرا
يا حبى عبثا ما أحاول به حمايتك
فكل كلمة أصبحت مصيدة لعذابى
وأكثر مما سأنتهى منه لأجلك
فى كل حين

أخاف الريح والظـلام والنور
والجحيم المتمرد فى أعمـاقى ..
الحياة تكون دائما هذا الخوف الغريزى
من انتزاع الحيـاة

أرى الحائط وماكينة البنـاء
واسمع حفر الزمن فى قلبى
يا من تخفى فى فمها القاسى
اللحظـة المحطمـة

تعال الى أيها الجـلاد المقنع
فانا أناديك من زمن بعيد
لمـاذا تتحرك وتنكأ الجراح

٤

كل ما أستطيع أن أعترف به
سنابل أعماقى التى لو صهرت ذبلت
وليس حديثى سـوى راحة لى
وقناعا يخفى خفـايا نفسى

لا شيء يستطيع التعبير عما فى قلبى
لا قبلة ملتهبة فى عيد الخماسـين
ولا العنف أو الفراش القديم
وكل ما تلخصه النبرة والصوت خيانة
وغطاء قديم يطرح على وجه الحب

كقصر بغـرف سحريـة
فى مكان بالجبل عند اكس لى بان
وفى السفينة التى ترحل بنا لأمريكا
أو حين أذكر عطر الورود التى داستها الأقدام
بعد أن عدنا عند رحيل الجنود
وأذكرك كاقتراف الحـرام

كانى لص
يا حبى وجريمتى معا
سأخفى عنك مقدار حبى لك
فقد لا تتحملين لهيب حب اشتعل به أبدا
حين أهمس لك بالقليل فهو كثير
أقوله وفى مخيلتى عـوالم
رواد الفضـاء حـول القمـر
أو حصان تصيبه المسغبة فى جريه
ومجرم لم تعد لديه غير الجريمـة
آه لن أجهر بكلمة أحبك فانا أخشى
لفح اللهيب الذى يصيب الانسان
بعد نطـق الكلمـة

٥

الذى يحب بغير معاناة هل يدعى الحب
دعينى أحبـك بنفسى الضـئيلة
خلال الزمان القليل الباقى المشكوك فيه
دعينى أحبك فيما تبقى لى بهذى الحياة
فعمرى سيمضى كمـا يمضى يومى
لحـن قـديم

انى أحب فى وقت غير ملائم
وجودنا معا يبدو مثل تمزق لا نهاية له

وبعادنا تمزق آخر لا نهاية له
ان نعرف الى أين نحن ذاهبان
ونهاية هذا القلب الذى ينبض
بطريقة غير انسانية بين يدى
الانسانية هذه

يا الهى كم يجعلنى هذا القلب وحكايته الطويلة
ليلة بعد ليلة أكثر اثارة للسخرية
كل يوم يزداد بشاعة
هذا الحب الذى أحمل معى الى النهاية

ويؤلمنى انه سيموت يوما
وتتحول نيرانه الى رماد

٦

لا يوجد حب الا بعذاب
وهذى اليد التى فى يدى تهرب منى
وكل يوم سعيد يعقبه ليل
أبدو فيه كلص هارب

يتمزق نفسى ينبض قلبى تخيفنى خطواتى

والزمن بين أصابعى كأنه فانٍ
والدماء فى عروقى لها لون الرمـــال
كتب لونى بالطباشــير

أنا مثل حصان تعس تطارده لعنة الجنس
وهـــو فى أوج عمـــله
يا للحصان التعس الذى لا يرتوى قط من الحب

٧

يوم ان كانت الحرب لم يك غير أنفس هلعة وخطوات تسال
لم يكن غير عالم معكوس وأذرع هزال
لم يكن غير شمس السماء وقد قسمتها ضربة سيف
أيهـــا الوجـــه المجـــروح
حين كانت الحرب وصحراء التويليريه
كان ثمة زمن عار الا من تراب وأوهام

أتذكرين يوم ان كنا فى شارع دى لابيه
حين اخترنا المقهى ذا الستائر لنلتقى به
سأذكر ذلك اللقاء يوم يضيع كل شىء
منذ هذا اللقاء لم ندخل المقهى مرة أخرى
فقبل أن التقى بك ثانية أبيض شعرى

فالحيــاة تزخر بالأبواب المواربــة
والأحــلام غــير المــكتملة

خيل الى أن علامة الطباشير على السقف
كانت تشير لمصــدر النور هنــاك
فى الشــقة التى لم نستأجرها أبدا
هناك فى شارع صغير على الضفة الغربية

كان لم نذهب معا الى غرناطــة
ولم نكن معا فى جزيرة الرمــان
ولم نر تلك الأفلام التى عدلنا عنها
فى اللحظــة الأخــيرة
انتظرتك فى كل مفارق الحياة

يا للمواعيــد التى أخلفتهــا
كم مرة ذهبت الى الســلم
لأراك بين طــابقين
لكن لم تكن أنت

انظرى لتلك المسبحة من حبات حياتى المرة
ترسم صــورة حبى لدرب العذاب

وهذى عربة أجرة توقفت أمام الباب وغادرها
البعض وسط الليل وافتقدتك أنت

كم مرة ذقت الموت وأنا انتظرك
وأنت لم تبك ولو مرة

فى وقت متأخر الطائرة التى تأتى بك
تدور دورة غامضـــة فى مطار البورجيه
نظرت اليك وأنت تهربين الى أمستردام
كلما تذكرت كل مساء عينيك المغمضتين
فلا يهمنى بعدها قصة هروبك الى هولندا
لا أصـــدق كلمـــة من حكايا الأحلام

حين تبعدى اتخيل أن الحرب جاءت
وحين تقفين يخيل الى أن الساعة
تـــدق سريعـــا تباعـــا
وهذا الطير يرفرف دهشا
فقد جاء فى زمن غير الزمن
ليتك عرفت كيف عانيت الوحدة وأنا معك
كل ليلة عرفت فيهـــا معنى الوحـــدة

الحيــاة ليست ســوى ليل طويل
الفجــر لا يأتى فيــه أبــدا
وحتى لو كنت معــك
فأنا أعرف جيدا انك فى الغرفة الأخرى
هذه المرة هذه المرة ليست هى المرة الألف

٨

وهكذا أكون انتظرتك طيلة حياتى
حاضرة غائبــة قريبة نائيــة
تســولت صــمتك
التهمت كلماتى كثمر الفاكهة
ضيعت أثرك بعد الغروب
وضيعت يدك بعد المساء
يدك الرائعة كيد طفل هارب
وهكذا أكون انتظرتك طيلة حياتى

تأخر الوقت لأتمنى لقــاء آخر
فالحروف ضاعت منى وكل شىء
لم يبق منه غير همس وحشرجة
لم أهبك غير هــذه الأغنية المجهضة
فانت لم تسمعى انت أو ســواك
خفقات القلب هذا الطير الأحمر فى أعماقى

لم تجدى عندى غير جملة بغير نهاية
تأخرت الوقت ... الخ

حتى ورغم هـذا
فان ثمة كلبا يبحث عبثا عن صاحبه
يسـير خلف سلسلة قديمـة
حتى بغـير أمـل

أصـل الى نهـاية المطـاف
أحمل دوما قلبا دائما ونحيبا لا يتغير
أسمع وراء هـذا الصوت على الطريق
صوتك الحزين المجروح بمساحاته الشاسعة
الزرقاء الحلوة والبيضاء المنبسطة

هذا الصوت الآتى من غربال الذكرى
صـوتك أنت
وذراعاى تمدان اليه ذراعين من دخان

كلمــات ضائعــة

١

حين يصل الزمن الى نهايته
ويبدأ الجرس فى طحن الضجة
ويدمدم الفجر كصــوت الخنزير
أحــلق ذقنى وألمــع أحــذيتى

لا أملك غير أبجدية النسيان
الملاءات المنبســطة والسرير
على ظهر الكرسى حيث أضعه
انها فوضى الصباح كما أراها

الحيــاة تبدو كمتســولة
خيط الجــورب على الأرض
والطريق ترام غير مبال

يمضى فى استغراق شـديد

اليوم الذى يأتى يضـايقنى
عتامة وقتامة حتى الصـباح
والشمس فى موكبها الجنائزى
تدور تغور كظفر غارز

أن أعد أن أوهب نفسى للشيطان
ليحاول حل اللغز المضحـك
ليحاول أن يجـد حلا لمـا
أسر اليه وأحـكى لـه

٢

الانسـان الوحيـد سـلم
لا يـؤدى قط لمـكان
والأبواب التى حول السـلم
لا تفتح قط لانسـان

الانسان الوحيد ذراعاه ملوية
وعينـاه فرديـة ويلهث
ورأسه دوما فى موضع خاطىء

ونومه كفتــاة ليل شاحبة

الانسان الوحيد بأصابع كالريح
ما يعطى اليه يحول لتراب
والمتعة تتحول عنده أيضــا
الى محض وهم وسراب

الانسان الوحيد بغير ملامح
له وجه يشبه زجــاج المطر
حتى الدموع تلوح على وجهه
غريبــة تضــوع بغير أثــر

هو مثل خطــاب مفقود
يحمــل عنوانــا مغلوطا
فاية كلمــة حب تكتب فيه
وأى يد قــد مزقته

٣

أو تلعب غشــا وخداعا
الحياة لعبــة غير مكتملة
الربيع ولى ولا صيف هنــاك

وها هو الخريف قد جـاء

ها نحن فى زمن ليس لنا
كل الألوان تبدو كظل مزيف
ومن خـلال المرايا الخادعة
يضيع الطفل فى أعمـاق الانسان

الطفل الذى تناديه عبثـا
فى هذا الوجه العجوز القديم
هل هـذا حقـا كان الغد
والمـاضى هـل يغدو سرابا

كل منا يحمل فى أعماقه طفلا
هو ما كنا عليه فى المـاضى
والجندى فى هـذى الحرب
لا يدافع قط عن الرجـل

كل ذاكرة تشبه مـاء راكدا
ماذا يمكن أن تعرف فيه
آه لو هبط أحد منا وصـاح
بعبـارة « انتهت اللعبـة »

٤

الزمن يتمدد للخلف
يتمرد ضــد كيانه
ربـاه ما أحـلى الظلمـة
واللحن القانى واليد العزلاء

وبرغم لحظى ولفظى
ورغم عـلمى وعقـلى
يكفى لجنونى ان
يمسسنى بعض من حلم

أسر اليك أن ليس حقـا
أن الأشـياء تمضى وتموت
ما دام قلبى ما زال ينبض
بشدة حتى أحسب أنى سأموت

الليـل وذراعـاه ونسـيمه
الغريب واضطرابه الغرير
وصوته الذى يعلو حين
يحمل الينا نضج الثمر

والليـل وفروعـه ورعبه

ليـل الوجـود الرائـع
حيث الانسان يرتعد حينما يتعرف
على أنين ضحايـاه

٥

أيها الغياب كيف لى أن أعرف
كيف أعـرف
ومن أين لى أن أعـرف
سر هذا الاحساس الآتى منك لأعماقى

ولا يخلع قبعته كأجير
متعب فى أرض السـيد
يجلس على حافـة مقعد
ولا يكف عن الحـديث

لـماذا تأتى الى أيها الغياب
هل تريد مناقشـة أجرك
أم اثـارة شـفقتى
على محصول الذرة الضائع

يمضى حصـانك للخلف

فوق هذى الأرض الرافضة
يا غياب يصنع كلمات
ويمضى بغير صمت
بينما تحلم بأمسيات مرحة
يا أيها الملاح فى ربيع الحياة
امض عنا فمن الذى دعاك هنا
وأنت تحمل كل سلوك الطغاة

٦

وبماذا كنتم يا عشاق تغنون
حين لمسكم هول الموت
أين سقطت قلوبكم الحالمة
فى غبشات الفجر الأولى

هذى خيوط تتجمع تتهادى
من أثر شجر اليوسف فى السقف
ما أشبهها حين يعلو صوت بائعى
اللبن بكرات البلياردو

يعلو النور رويدا رويدا
بين الحمامات وعلى البيوت

فاذا عاد النهار تجلى فيه

هم صغير وحــلم يموت

فى مدينــة قديمــة

ليس ثم من يهتم بنــا

ليس لنا فيها من يرفع عنا

كابوســا ليليا ثقيــلا ثقيلا

حافية القدم ممزقــة الزى

تمشى بين هــذى العلب

وبين بقايا ورق قــديم

وكل مساء يروح يغيب

٧

كل علم يعود الى مسمياته

وكل لغــة تعود لألفاظهــا

غير أن الريح شجرة تغير الكلمات

وتحيلهــا الى دخــان

الكلمات التى تجاوز حدود مجالها

الشموس فى الغرب الأقصى

تمضى لكن تلعننى لما تحوى
من أفكار ومعانى حمر
كممثلين دوما فى منافسة
فى الحوار وفى العمل
يوصمون بغير ما يشتهون
ويوصفون بغير وجل

وكأقنعة تستبدل الوجوه
ومثل سكارى فى منتصف الليل
تبدو الأشياء زائفة دوما
خائفة فى وحدة الآخرين

يجرون كخوف كسلحفاة
كل يسعى بعيون حيرى
كل يتجنب مصيرا محتوما
ويسعى لمصير غير محتوم

٨

فى كرنفال الحياة
تغدو النار كالدخان

يبدو الأعجــاب كالحب
والكلمات قبل العبارات
وكمــا يفعــل الربيــع
تنفصــل المرأة عن الرجل
يبدو كل شيء عابرا وكل
لحظــة ابنــة لحظتهــا

يا الهى من المــارات هنا
أتوهم أن أهوى زوجتى
أتوهم أن أحطم كل
حواجز قلبى واغلاله

يا الهى من شباب يخيل الى
اننى عشته فى زمن ما
كما يعيشه من يبدو الآن فى
سن ابنى فمن يعيده الى

٩

نحن فى عصر اهمــال الكلمات
والشعارات التى تبدو مثل

هذى الحيوانات المتعبة
أو أعمدة النور القديمة
كيف لى أن أنسى
هذا الجمال الغريب الحزين
الجمال الذى لم يعد منه
غير كسالى وفراش كئيب

تحتفظ الكلمات بمعانيها
ونحن دوما نستبدل بها أخرى
فتظل الكلمات فى بكارتها
الأولى ونظل نمتهن الفكرة

مثل أبو الهول فى الصحراء
يظل يقبع فى صمت ويسمع
هذا نشيد يحمل سر الحكمة
وذاك آخر يحمل سر الكهنة

كالذهب أو كالقبلات الأولى
حين يزول عنها الزيف

هى تلك الكلمات تبدو فيها
حقيقتها لوســاد الصمت

١٠

حياتى من أولها لآخرهــا
تشبه النهر الأسود أو كحصى
الطمى
حين آخوض فى زمن الذاكرة
أغوض فى طبقــات الطمى
يتعلق به
حين أمضى فى أرجــاء المعمورة
أو حين أحمل دوارا فى الرأس
يجــرح

أو حين تخرج سيقان السباحين
رغم منديل يحيط الجــرح
يــدور

ومع هذا فالدم القــانى ثقيل
فالجرح قديم والدم يسيل
يسيل

١١

امسك هذا السكين من قلبى فهو ينبض ليس السكين وانما قلبى
انه ينبض لصوت خافت أن يصرخ بعد ذلك
فظيعة هذه الصرخة كفعل عنيف فى جراحة
هـذا السكين الذى دخـل قلبى
لا أعـرف متى
ولا كيف
تارة يطعن وتارة ينزع
لا تتحرك أيها المسكين بغتة هكذا
آه
أنا لا أراه وانما هو موجود فى أعماقى
أين طعنت وأى قبضـة ضربتنى
أحس الألم بطيئا وأنا اتخيل
أن يكون كهذه الزهرة التى توجه أشواك أظافرها لذاتى
أو يكون أسنانا حادة أو منقارا ينهشنى
تلك القسوة التى تؤلمنى ليلا ونهـاراً
حتى وأنا أحلم أحس بتلك القسوة
ولا تكاد عينى تفتح حتى يشتعل الألم
أمضى وسط العالم دون أن أشكو
دون أن يحمينى النـاس
أمضى كشجرة وحيدة فى الخريف
أمضى وسط العـالم غريبا أحمل

هــذا الســكين بقــلبى

السكين الذى لم يعد له فى هذا العالم قط غير أن يؤلمنى

لم أر من أدخل هذا السكين بقلبى
وربما يكون رجــلا صلبــا
وان كان لم يقض على فى الحال
يا له من ســوء حظ رائع
كان على بقبضة ان اسحب السكين
وكذلك حيــاتى
ولكن لا يوجد من يجرؤ أن يفعل خوفا من لون الدم

أمضى وســط العالم أحمل
هــذا الســكين بقــلبى

١٢

أعود الى هذا القرن وأرى
فى أقصى خيط الرمــل
أدور حول هــذا القرن وأرى
فى أقصى خيط الرمــل
مستنقعــا
منخفضــا

يبدو هـذا العالم حقيقة قديمة
حقيقة تكشف خيوطها
بين الرمادى الأســود
عن سر حقيقتهـا
وعلى مدى النظر الحصى والمستنقع

هـذا طريق يتهـادى للنورس
الذى يبحر فى أصوات المد والجزر
كزجاجة « يود » فى مهب الريح

وعلى مسافة خطوتين فقط
قبر الشـوك هنـاك

كل هـذا للاشيء
ولا لأحـد

صحراؤنا تناثرت فيها الأشياء

١٣

بعض الأعشاب وبقايا تراب
أثر ضئيل وكل ما بقى من طريق مرسوم

وحتى حين ظهرت نهاية الطريق ظهر
بغير وضوح
فالحقول كانت تبدو لى دائما
شاحبة بعد هطول المطر
وقليل من النبات كان يكفينى
فى هذا الليل
فى هذا الحقل
حين ينبت فيه كل شىء غريب
فلننظر الى أعلى الحقل
وسط الحقل
هنا الفوضى
والصمت مع كل لفحة هواء
فى قصرى
قصر البؤس
فالحقول هى حقول البؤس
وشق الأرض الذى لم يعد له معنى فى هذا المكان

كل شىء هنا يذوى ويدمر
بدون تفكير
يمسك فى الكف وهل
قبل أن يفقد

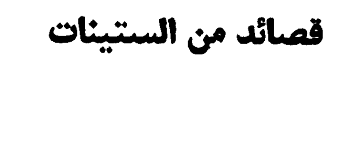
الوجه الشاحب هو الهواء
والأرض التى تعبت

١٤

أيها البشر المزقون القاتلون
يا من تحزنون القلب برؤية
ملبسكم وبشرتكم
حين تمرون على مقعد دون أن تجلسوا
حين تنظرون الى الأنهار
عيونكم ما أشبهها بعيون الأسماك فى الشباك
وحين تمضون فى الزحمة تشبهون الأحجار
أنتم ثقيلو الخطا ومتعبون
وأنتم أيضا شاحبون
وجوهكم تحاكى رونق الاطلال الشاحبة

أيها التائهون أنتم
كالحان المنسية
وبلاد لم يعد بعد من ذكرها غير اسمها
وكلمة تحت سيل المطر
تعنى الاغتراب رويدا رويدا
وحديقة مخنوقة

قصائد من الستينات



أؤمن بالألم

يا ابن آدم أرأيت العالم البغيض
وأولئك الذين يسيرون فى الدروب الضيقة
هل يأســوا من أن يكونوا أحرارا
أؤمــن
بالألــم
الزمن يتسرب طيعا ناعما كالرمال
أنا أؤمن بالألم المتفرد
فى يــوم مــا
تعلم أن تعانى الألم
وأن تتــألم
عندما يصيبك الألم فى يوم ما سيعلمك كما أؤمن
بانــه لا يوجد ســواه
وستنطلق منك الصرخات كالعصفور
أؤمــن بهــذا

مجــرد عيــد

الاحتفال الرائع بلا شيء
احتفال بلقب أو بجيش
بنهايــة حــرب
أو بدايــة ســلام

احتفــال فحســب
رقصــات أو نغمــات
بلا هــدف انبهــار
المــاء العــذب
الــذى شــرب
من الذى اقــامه
ولمــن

لا الريح ولا الخريف
احتفال دوران مجنون
احتفال من أجل لا أحد
فأى احتفال عار لا جدوى منه
وبلا جدوى

انه ضحكة ضائعة
انه عادة وتهاويم
طقس كاذب
ومع ذلك فانه جارف
جميل كصدفة
ناعما لدرجة العشق
هذا الاحتفال لا أحد يعرف لمن
لا أحد يعرف متى ولماذا وكيف
قد يكون نارا مفاجئة لا تحرق
أو نورا مطفئا مع فرقة موسيقية صامتة

انه رماد العدم المستمر
انه حقل راقص بدون راقصين
وبدون ترنيم
حتى الأغنية تصنع
من لا شيء

الشـــباب

أيها الشباب الهامس
حين أمـــر
التفتوا الى صوت خطواتى المبتعدة

أراكم ولا أراكم
مكانى ليس هنا وليس هناك
فأنا أحتاج لوجود الكثيرين
أنا أصل فى الوقت الذى يمضى فيه العائدون

أيها الشباب الهامس
حين أمـــر
فى هذه الحياة بغير ابهـــة
ماذا تريدون منى أن أفعل

والفتـــاة التى تقبلكم
ترانى آتيـــا من عـــالم آخر

أيها الشباب الهامس
حين أمــر

فانا أعبر الى هذا العالم وأغرب منه
بحسب ما يريد القمر أن تبدو صورنه
بتعاريجـــه
أو بخطوطه الأنيقـــة

أيها الشباب الهامس
حين أمــر

كما تضيع من فتاة مرآتها الحلوة
هوانـــا
كالقمر يمضى عابرا الفضاء بخفة
وقلب سئم من كل شىء

أيها الشباب الهامس

حين أمــر

ان رحلتم أو بقيتم
لن نخلف غير آثارنا
التى يضيعها صخب الحياة
وســيل الذكريــات

أيها الشباب الهامس
حين أمــر
التفتوا الى صوت خطواتى المبتعدة

الحب الضائع

لا أعرف لم تبعت
هذا الطريق المضلل
كالكبارى التى تعلو نهر السين
جاوزت زمن حياتى

أنا وحدى بلا قرين
كالصدى بدون ترديد
كقفاز بلا رفيق
أنا دليل على جريمة فاعل مجهول

وما سبب ذلك فانا أعرف
اننا نعشق الحب الضائع
وأى حب غيره لا يكون سوى سباب وتجديف
وأى حب غيره لا يفيد بجديد

يتمسك بالحب فالحب قاتله
باحتضار مستمر لا نهاية له ولا بديلا
ومأساة أن يحيا الانسان وحيدا
فالموتى ليسوا جميعا شهداء

يوم وراء يوم يتصدع هذا القلب
آكثر فأكثر
هذا القلب الذى لا يحس كما يعتقد
وقد غمدت السكين فى نسيج الذكريات

فى الطريــق المضــلل
لا أعــرف لم سرت
جاوزت زمن حيــاتى
كالكبارى التى تعلو نهر السين

يا قلبى يا قلبى آوتلك صيحتك
أم صيحة جرار يشــكو
فى قلب باريس

الغـــرقى

الغرقى تحت جسر آى شانش
يتجهون الى الخلف
يمضون الىعالم أسمى
وعيون حانية رانية للملائكة

النهر مظلم انظرى
وقد التفوا بالأكفنة البيضاء
وبدون أن يبدوا حراكا
مروا فى صمت تحت الجسور

وتحت جسر الفنون كفينسيا
وكانت الجيـــاد مجهولة
يمضى البؤس عريانـــا
اينما جاء بغير قميص

تحت الشمس أو تحت المطر
يمضون للبحر فى سكون وقد نسوا الحب
وحين يجاوزون جسر دى شـــور
يغمر اليأس زرقـــة العيون

هل تلاحظ الحدقات الحزينة
تحت الأعمدة السوداء تمر
العدسات التى يغتصب بها
الســياح لقطـاتهم الشاردة

وكأن فى لحظـــة خلصــوا
وســكنوا تحت الفنــارات
واستعادوا فى فرح بنــات
وصبيان وهم يثنون الأذرعـــة

وذهبت الى طرف بعيد
لأعيد حيــاتى فى الذكرى
والنوم الذى فر منى كأنى
ضيعت نفسى وسفحت دمى

التمثـال

كل ما يحتاج لصنعه انسان
وهمى ومنحه النفس والشكل
بالصبر وبعض الأحلام ينسج جلده
حتى يغدو الحجر مثال الألم

ثابتا على نصبه يتخطى الزمن
بعيونه المستديرة الجوفـاء
ودلالة تكوينـه تعبر
عن فكر مكتوب أرضـا
انما جاءت الريـاح

وانما جاء المطر وجاء الزمن
ومر التاريخ والجيوش

والأشجار المكسرة من الصاعقة

وتصاعد رماد الزمن الحتمى
ليعانى عريا فى دخـانه
متحولا فى الفصـول
صاغرا والنمل ينحت الاف
بحـكم تقـادم الزمـن

تحط العصافير على رأسه بأمان
وعلى كتفيه منذ الازل
وهو فى وقفته كمن يموت طويلا
فى أرض المعـركة

وتصاعد روث الزمن الحتمى

ان تحت ضريحه المزين بالملائكة وأبواقهم
يلعن النحات الذى يغفو طويلا فى معبده
هذا الذى تركه وحيدا على عتبه المجهول
وكان المفروض أن يلازمه حارسـه
فقد جلده وساقه وقوة ظهره
وملمس جـلده الحجرى

وهيئة جلده تسلم بفعل الزمن
الى اليأس
انه يلعن النحــات
الذى لم يجنبه الانتظار غير المحدود
ويحول بينه وبين النهــاية

ومع ذلك ولو كانت بقيت خشبة المسرح
ببساطة القناع الذى يستند الى سور الزمن
هل كنت اضطرب لمرأى جلده المشقق
كأحد الناجين من كارثة محققة
ولم أعد أتمنى رؤية الشراع ولو من بعيد
انه يشد الملابس الممزقة من جسمه فى الطين
كأحــد الطيور التعبــة
الذى تعود ككل يوم أن يقتفى أثر غيره
فى خطــوات هادئــة
فاسمعوا لهاثه من الخندق حين يهبط الليل
بصــوت أجنحــة طيوره
أيها الصوت القديم المتروك الذى أرى فيه نفسى
أرى دمى ينزف وبطنى شديد النحول
ومرآتى القاســية حيث أرى
صورتى الداخلية التى تشبهنى بشكل صارخ
واطارى المخيف حيث أعيش

تلتهمنى الكلمــات

أموت بلا حياة وأحيا بلا حياة

الزمـــن

يوم يجىء والزمن لم يعد يمر
الزمن الذى يقف غصة فى حلقنا
بلعنا من الرصـــاص قدرا
يصهر فى أعماقنا ويصب صبا

يوم يجىء والزمن لم يعد يمر
كالجرو فجأة أمام طير ضخم
فجسمه تغير وقلبـــه تحـــير
ويده ترعش من لمسة الصياد

يوم يجىء أو ربما يكون ليل
الزمن يموت موتا بشريا
والحياة حينئذ لا تعنى غير

يوم يجىء ولا شىء أكثر من حكاية
ولا شىء يأتى من وهم أو حتى واقع
أتكون الكلمات من نسيج الماضى
وعلى المعصم تتحول الساعات ثلوجا

كل شىء لا يصبح شيئا الا بالتقريب
الوهم المرآة القناع خيال المآته
كل شىء يباع بأرخص الأثمان كما
يبيع تجار المتاع القديم بعد العمل

ثقل سيقانكم كالجوارح تنهش
لمس أصابعكم تنتهك الحرمات
الخطاب يلقى عليكم كشكل ملغز
هو ذا ما يطلق عليه التاريخ

الموت والليل

وضعت يدى فى يد المنية
يجب على يجب على يجب على
منذ هـذا اليوم ان آخذ المنية
بيـدى
بيـدى
بيـدى

وضعت يدى فى يد المنية
آخذ يدها كما تأخذ يدى
وأصابعها العظمية تسحق يدى
حين أنـام
حين أنـام
حين أنـام

أيتها المنية العذبة حين يجمعنا الليل

أرى عينيك تشبه عينى
وقلبك يرتعش أكثر من قلبى
حين نغفو معـــا

أيتهـــا الليلة العذبـــة
أرى أسنانك التى تشبه أسنانى
من منا يرتجف أكثر من غيره
ومن منا يهرب أكثر من

من زمن يطير تعرف التناوب
والتأرجح بين الأبيض والأسود
وتتأهب دوما أن تستبدل بحلم
المزهر فأس تعلوه الغيلة

كنت تنتقى بين الألوان
حاملة الموت للشخص التالى
تمضى فى غير لا مبالاة للعالم
حولى تبحث عنى فى لون الزمن

ها أنا حيث تستطيعين النوم أيتها المنية
فانا أقف الآن على رأس سريرك

وارضى ان كان ضروريا ان اترك
أصابعى اللحمية لأصابعك العظمية

كما لم يكن قط مات أو يموت
قلبى المرتعش أبدا بين أصابعى
هذا الذى أســهر عليه طويلا
هو حبي الوحيد وندمى الوحيد

العربات المهجورة

نائمات فى أى مكان
العربـات العربـات
نائمـات ملتصقـات
محاجر العيون فى العيون
فى الطبيعة فى أى مكان

مثلنـا نحن البؤسـاء
العربـات العربـات
ليالى شـهور سـنوات
مثلنا نحن المهجورين
فى الشارع بغير هـدف

المدينة ثكنـة بها
العربـات العربـات

هى هنا الى متى
مصفوفة على جانب الأرصفة
كأغنام بدون كلا أو مراعى

فى أى شىء يفكرون اذن
العربــات العربــات
هل يجدون من يعرف
الزمن طويــل أو قصــير
والحياة هل هى مناسبة لهم

فى استطاعتهم وهو شىء مؤكد
العربــات العربــات
ان يحكوا حتى الصــباح
حكايــات مبتــذلة
لم يتفوهوا بها بعد

انهم أعــلم منــا
العربــات العربــات
لمــاذا يتحول العقلاء الى مجانين
والطيبون الى ذئــاب
والملائــكة الى منحلين

ماذا قد يكون حدث لها
العربـات العربـات
لمن يدفـع أجر هـذا
انهـا تحرس سرهـا
حتى لو نكل بهـا

العربـات العربـات

خواطر ليلية

فى أمـــاكن
يهرم فيها الزمن
الأظــافر تلتهم

حين تأتى ســاعة
تتعــرى المدينــة
للعيــون الحالمــة

المصــباح مشــتعل
الميــادين مغلقــة
الكراسى فارغــة
والحصا ساكن مستو
الحصا الذى كان يطرب

ليلا تحت خطوات سريعة

أرض مظلمـــة
أيكــة محرمــة
لونهــا بنى
حــدائق ومروج
أحــلام متحضرة

خلف الأســوار

تاكسى بالكــاد
هو ما يســمع هنا
فى الظل الذى يتحرك
فى الساحة القريبــة
أمــام المبــكرين
الصمت فى نمــاء

ارتحــــال

غنيت الى أن صمت
والطيور التى جاءت الى
على كتفى هنا خيل اليها
انها ترحل الى المجهول

غنيت الكلمات وأنــا عار
على لحــن مرتجــل
عار الا من ذاتى المجنونة
وكل عيون الصيف

هو ما حدث هنا فى العالم
قبل أن تثور الريــاح
المرايا فى أعمــاق الظل

لم تجد لديها ما تبثه للآخرين

تلك دائما أرض مجهولة
حيث تتوه الأسرار
لم أهمل بعد خواتمى
بدل من آخر غيرى يبكى
لا أحـد يهتم هنـا
أن يعرف من أين أتيت
الأشياء لم تعد معروفـة
ولا حتى مكان بائع الأشياء القديمة

بيان فوضوى

أيها الناس الطيبون اعتمدوا على أنفسكم
وناموا فى هدوء فى بيوتكم
هوذا يعود زمن المجـانين
المتطوعين

أولئك الذين يختارون أن يقضوا
هـذه الحيـاة بغير هـدف
يأتون من الفضلات أو من الحفر
الى العـراء

فى الشـمس والمطـر
فى النهـار والتراب
فى الصمت والضجة
آجلا أو عاجلا

الشـيوخ والأطفـال
سـيذهبون طلقـاء
يمضون بسيقانهم ويصحبون
القيثـارات

يعود الزمـن الضـائع
حيث لا شيء لـه
الأهميـة التى كانت له
فى الكتب

لابد من طرف من كل شيء
فلتكن السـماء سوداء أو زرقاء
لقد عرف الناس كيف يموتون فهل عرفوا
كيف يعيشون

عندى بدون شك أسـباب
للهرب من ظـلام البيوت
وبدون أن أرى الأفـق
أصـدق حقيقة

هنا لا يعرف عنى شيء
عشـقى الهى ناموسى
يرانى الجميع كمـا أريد
دون أن يرونى

أربـــع حيطـــان

لا تتحدثوا بصــوت واحد
فى هذا العالم ما من أحد يسمع الآخر
أربعة جدران فى الأرض تدور
نحن وحيدون مطرحون كأننا فى غابة
لا تتحدثوا بصــوت واحد

بين السرير المسور والدولاب
هــذا طريقنـــا حتى القبر
أربعة جدران لنرى كل شيء عذابا
وقــد يــكون المطهــر
لو كنت نعتقد فى تلك الحكايات

بين أربعة جدران تساوى السماوات

تمر سـحب الزمـان
تحتاج الى مناطق شاسـعة
بينما أنت تضع عينيك فى البيت
بين أربعة جدران تساوى السموات

أربعة جدران مثل الذاكرة
ليتساوى العـالم فى خيالك
ولا يهم بعدها من أين تأتى
أيها السحاب الأبيض والأسود
أربعة جدران مثل الذاكرة

هـذا عالم الورق الملون
حلم يأتى وحـلم يروح
أربعة جدران وأغلقوا الباب
(الانسان لا يحيا بالخبز وحده)
هـذا عالم الورق الملون

الهويـــة

أنت يعقوب

لا يا ســـيدى

أنت يعقوب

لا يا ســـيدى

ومع ذلك فأنت يعقوب

لا لا لا

لو لم تكن أنت فمن يكون

يعقوب ربمـــا يكون

مع ذلك أنت

لا يا ســـيدى

أنت متأكد أنك لست

يعقوب

نعم يا ســـيدى

أنت متـــأكد

متــأكد متــأكد
حينئذ فأنت يعقوب
لا لا لا
يا ســيدى
أنت متــأكد
الــخ

القميص

يخبىء ما يفصح عنه
ويفصح عما يخبئه

صنع كى يلبس
وصنع كى يخلع

على الأرض
له شكل التاج أو الظل

تفك أزراره دون ما كلمة
ويجعلك تكتم الأنفاس
يظل طويلا بين الأشجار
ليذهب أثناء الليل

يبدو كما لو انه أبيض اللون
وهو ليس كذلك بالضرورة

الجريمة الكاملة

رأيت يــدى
وأنا أسأل نفسى ما اذا
كانتــا أبــدا
قــد قتلتــا

اســـــأل

نعــم
يــداى هــذه

متى
هاتان اليدان

أيــن
اســـــأل
اذا كانتــا أبدا
بأمانــة لا أعــرف
أجيب

العــرف

لا احتــاج يكون لى
ولو مرة واحــدة
واحـــدة
لــكى
آكــون
واحــد
حتى
لــكى
آكــون
ولو ولا مرة
لــولا
ما هــذا
بعد هــذا
لمــاذا
ما يثبت

مــرة
لتستطيع
عملنــا
مــرة واحـــدة
شــيئا
فيمــا بعد أبــدا
لكن حتى فى نفس الحالة
انما حتى فى نفس الحالة
أولــو
لا احتــاج أبدا
حتى أعــرف
لا أحـــد
ليكون وأنا الذى
لو ليس عندى أبدا هل لا أكون
ومــع ذلك لا أحـــد
وأنا حتى أكون
لا
واحـــد
مجـ
مجـ
دم

الاليـــاذة

يوجـد
يوجـد انـاس
انـاس يـدون

كزهور النرجس

انـاس يـدون
فى غاية الطرافـة
مستعدون لفعل أى شىء

يخسرون ويربحون
وهم أنفسهم يعلمون

ان شيئا بسيطا يكفى
لهبوب الريح

تلك التى تشبه الأعاصير
التى يتأثر بها الجسـد

هذه الريح التى تعيدنا
الى ذواتنـا
ريـح السـفن
فى سـاعة أوليد
والريح التى أتحدث عنها
ريـح مميـزة
يصل بهـا الانسـان
الى ما نحن فيه الآن

كمـا توجـد الذئـاب
كذلك يوجـد المجـانين
ومن كل الأشـياء نجد
ما يشـعل لنـا
حتى القليـل

فكلمـة تـكفى
وحتى بغير كلمـة

تنتابـك الرغبـة
لتعيـد الحيـاة

بحـــركة

لا تكون أنت فيهـا
ولا الغـير
بل تكون الرغبـة
لتواجـه الصعـاب
لتواجـه الصعـاب

والأوديسـة

يوجـد
بشر كثيرون الكثير منهم
ليسوا فى ديـارهم
فمن الذى سيشعل النار

بشر كثيرون لم يغيروا ماء الزهور
أو يملأوا سـاعة الحـائط
أو يغلقوا مفتـاح الغـاز
بشر كثيرون هائمون
من غير أن نعلم من أين جاءوا
كل أولئك الذين فى الخـلاء
بأى قـانون يحـكمون

هم كثيرون فــرادى

انتشروا من كل مكان لهدف ما
متقدمــين أو متــأخرين
مبكرين فى النهــار أو متأخرين
كثيرون ضائعــون
والحوانيت فارغــة
الرب فقط يعلم الى أين يتحولون
كالأشــباح

البحــر والهــواء
يذكر ما قبل هــذه الرحلة الى الجزر
ورحــلة أوليســيز
ما قبل أو من بعد
ستظل سفن بغير عتاد
وأشرعــة مشــدودة
اناس كثيرون بدون ملاذ
يأســوا تمــاما
وتوارت قوارب النجــاة
كنا نعتقد أننا نمضى
لمــكان معــلوم

اناس على غير هــدى

ومهمـــا يحـــدث
ترى ما الذى يراودهم من احساس

وما بعد هـــذا
وما دلالة أن نسأل
ما بعد هـــذا

جزر من أشلاء البشر متناثرة
وقبور تقبع فى ســماء قاتمـــة

من الذى نثرها أمامى كأنهـــا
امتداد وجه مجدور ومساحات من الروث
يا له من امتداد بشع لبقايـــا
انـــاس على الأرض
وكل هذى البقايا من بقايا آتية بغته تحتم
حركة سيل المطر الذى يرتفع امتداده ليسد السماء
يا لها من فوضى وما أصعب أن نعيد النظام اليها
مبكرا أو حتى نفكر فى عودة النظام اليها
فالكلمـــات تموت فى الفم
وتجبر على الافصـــاح بصوت عال
فلا تـــكلم عن النجـــوم
يا لك يا آوليسيز اليوم عن مسكين
لقد تحملت كثيرا

وما تبقى
فهــو أكثر
بحيث لا أستطيع قط أن أتحمل

لا تثق فى مشــاعرى
هــل تــرانى
مبتســما
ان ابتسامتى فارغــة
أو مزيفــة
فأنــا
أحمل فى أعمــاقى دوما
هــذى المــأساة

أنا شعب أتألم بغير صياح
بينمــا ينتظرنى المــوت
فى كل ميناء ووراء كل ميناء

فأنا لم أعد أفكر أو أطيق أن أفكر

لقد عاد الملاح التائه للبحار المرة
وأنا مثل الآخرين أركع على ركبتين
وجفونى تسيل حينما يتوقف قلبى عن النبض

فى يـوم ما
ليس لى
حياة الا انتظار الموت
ولا أنطـق
الا لأمضغ الصمت

عن بــلاد

الجزر وسط الألوان وبحر الشمس المترامى الأطراف
لم يبق مكان للإنسان حيث
صمت الأســماك الزرقاء فى المــاء الحار
والانتظار العبثى للريح التى لن تأتى أبدا
يحرك السفين
أفيجينيــا
أفيجينيــا
يحرك السفين
أفيجينيــا
أفيجينيــا

عما تتكلم أيها اللسان الطلق اللاذع المتهور جدا
بالكلمــات عما تتــكلم ومن الذى يجعل
العيون تلتفت الى الدمــاء على الخوذات
كنت
كنت أتكلم عن الجزر فى البحر الساكن
عن نهدى سباحة تلامس ماء الضياء

وسقطا ذراعاى من تعب التجديف
فى البحـــر

عن بلد يشبه المرأة ذات السيقان الغالية كالذهب
عن المرأة فى أمواج منتصف النهـــار
ســـاعة القيظ فى الظهـــر
والنبات الأخضر يسبح على غير هدى
المرأة تبدو تماما كالجـــزر
مجموعـــة الجـــزر المغريـــة
أتحدث عن دوار منتصف النهار الذى يمزج
الزبد بالنـــار زبد ونـــار الشبق
أتحدث عن الجـــزر المرســـومة
فى البحـــر المفتوح
فى انغمـــاس عميـــق
فى أنهار المتعـــة والنشـــوة
فى الأنهـــار العميقة العذبـــة

أيها المكان المهجور للأبد يا بحر ايجـــة
لن أستطيع أن أعرف نفسى أكثر منك فى هذه
المرآة المحروقـــة

أتحدث عن بلاد لا شبيه لها أبدا
هذه البلاد هى هذه المرأة التى تشبهك

ولا يمكن أن يشبهك ويشبه أفيجينيا
أرتعش وأنا ألف ساقى حول ساقيها الخائرة
وبين ذراعى ذراعاها
تلتف حــول رقبتى
أتحدث عن بلد يشبه الفم المجروح
تشبه كارثــة غرق فى وضــح النهــار
عمــا أتحــدث
فالجزر تمضى وأنا أمضى لألمسها بكتفى
قــد يقــال
انى أمسك بالنهــار بين أســنانى
أو اننى ألمس أخيرا المرأة الهاربة
ويرتجف
فى أحشائى سكين هائل يفتت أكبادى
وأنا اله مجســد أســير
لمقابلة الطفولة التى تدعى امرأة
وأمســك
بيدهــا الأســطورية

انصتى يا حبيبتى ان الوقت يمر بنا
انت التى ألمسها والتى ترتجف معى خلال الزمن
الــذى نعبــره
امرأتى دائمــا انت الوحيدة
لك ألف اســم يســاقط
انت جزيرتى السعيدة والتعيسة

البحر وشفتاك مالحتــان
وأسمع يأتى من بعيد الينا الكوكب الأسود
ما من مكان للمرأة حيث
الأســماك الســمائية
ســوى بين هــذين الذراعين اللتين
تنغلقــان عليــك يا أفجينيا

أتحدث عن بلاد الجزر العائمــة
فى مكان ما حيث
ضــحوا بنــا
كنــا كظــل
مزدوج وســط الأضــواء

انمــا الريح لا ترتفــع
فى الأشرعــة
الرغبة فى القتل والموت(*)

(*) القصيدة استلهام لاسطورة افيجينيا .. حيث يرسل اجاممنون رســولا يطلب من زوجته ارسال ابنته أفيجينيا مدعيا انها ستتزوج من اخيل ، وكان يريد أن يقدمها قربانا على مذبح الالهة أرتيميس ، لتسمح لسفن الاغريق بالابحــار الى طروادة ، وفى الوقت الذى يتراجع فيه أجاممنون يظهر رســول ويعلن وصول .. كليمنسترا مع أفيجينيا فيسقط فى يده ولا يلبث أن يثور الجيش وينتزع الضحية بالقوة ، تعرف كليمنسترا الحقيقه فتثور على زوجها وتلجــأ لاخيل لانقــاذ ابنتها ، فيغضب ويحــاول انقاذ الفتاة ، غير أن الجنود تثور عليه أيضا .. وهنا ، تعلن الفتاة فى شجاعة استعدادها للموت فى سبيل بلادها .

ما يريده الموت بعير صوت

العدم لن يصبح يوما ما سوى عدم
هو ما يقوله المـوت
وقبضته تقبض على العدم

وكان سـؤالى
حتى لو انتصرت الحيـاة
عاد الموت الى ضحكة بغير صوت
بغـير شـفاه
ضحـك من العـدم
وأجاب حتى لو انتصرت الحيـاة
حتى وان تجددت الحياة فان
العدم لن يصبح يوما ما سوى عدم

وكرر الموت حكمته للمرة الألف
كمـا لو لم يسـمعه أحـد

الى الأبـد

أمسكت بشفتى لأرى
ما لا يمكن أن تراه العيون
أمسكت على شفتى كلمـات
حيرى وبقايا شـجون

ما عدت أحس جفاف شفتى
ما عدت أشعر بفتور الكلمـات
ومع كل ما فعلت لم أفعل
ما يكفى لانقـاذ انسان مات

حاولت أن أصـدق أن الموت
يعيـد الحيـاة
وان الميـلاد الجـديد
يثبت الليل الحتمى ضد العدم
يعيد بزوغ الفجر فى ثنايا العدم

ربما يكون لى وجود جديد
وجـود مغـاير
غير أن الشىء المؤكد أن
لا شىء جديد غير البرودة والعدم

فوق حاجز الصوت

قال صوت

ارکع أيها الانسان

ارتفع صوت آت من أعلى

فتحولت الطرقات الى ضوضاء

الى صرخات

كان الكل يسعى

الكل يجرى خلف آماله

والمدينة تمضع الضجة

اركع أيها الانسان

قال الصوت بنبرة أعلى

فاذا الصحف تشترى من الأكشاك وتلقى دون أن تقرأ

ارتفع الصوت الآتى من أعلى

فوق حاجز الصوت

فاذا عربة تزمجر فى صــوت جريح
واذا النـــاس تهرول كذباب
والرءوس حـــائرة دائــرة
الا فى عوالم المجهول

اركع أيهــا الانسان
يزداد الصــوت عــلوا
وبحركة تلقائية يرتفع أنف البعض
وهو يتنـــاول تذكرة المترو

كل شىء يمضى كما يمضى الزمن
ولا يهتم أحد أن يقف ويسأل
فما يحدث هو واحد من اثنين
مأساة تدار أو فصــل من
كوميــديا تقــام

ويعــود الصــوت
اركع أيهــا الانسان
ويسود فى طبقات الجو العليا
اركــع
دون أن يعرف أحد بعد
ما اســم الصــوت
ومن أين أتى

وحتى أولئك الذين يسمعونه
لا يهمهم أن يسألوا
ما اسـم الصـوت
ومن أين أتى
اركـع

اركع أيهـا الانسان
ورويدا رويدا من فرط التكرار
تتحول الكلمات لمعنى مغاير
معنى قد يتحول لصـوت نشاز
مع أن الصـوت يزداد
صراخا
أعلى وأعلى
اركـع
اركع أيهـا الانسان

يقينا ان هذا صوت شخص ما
لعله صـوت الله
صوت أفقدنى معنى الرغبة
فى أن أضحـك
وهو يصيح أعلى وأعلى وأعلى

اركع أيهـا الانسان

آخـر العـام

« الى سان سلفستر »

ثمة ضجة كبيرة فى البرية والانسان صرخ بكيانه
قـائلا
الانسان تألم فى مراحل حياته فى عظمة قوته
فى البطون الناعمة للمرأة حيث حركة الأجنة
وفى أفق السماء الشاسعة بدا له
كارثـة طـريق
جعلت منه السـماء ضحية
ان كل شىء كان يبدو أشبه
بربيع فظيع لا ابتسامة ولا أشـواق
بكثير من الحميـة
واليد العظمية تعود المقابر
بكثير من الحميـة

يزداد صليب بدون مبالاة

عن ماذا تتحدث يا فمى
أيها الفم المفعم بالمرارة
أيها الفم المفعم باللعنات
عم تتحـدث فى صمتـك
وفى صمتك الرهيب حيث تموت الكلمات
الدامية فى شحوب لتسقط مثل ثمرات التوت
فى الغابـات الصـغيرة
رجفـة شـفتى الزرق

وقع صوت كالرعد من القوة بحيث حولك لأصم
والنار تلسع الفكر بين العيون
والبشرة تشققت عن نفس مرتعدة
بينما الأفكار تذوى بين الأصابع

هذه السنة مجدبة مجدبة معا
الكتف جـرح
والشر والخير متشابهان
لكن أية لعبة تلك التى يمارسونها
اعطـاء الجحيم صفة الفردوس
من الذى يكشف عن الكذب
كما يفعل اللاعبون الملعونون

ثمة رياح عاتية تهب تعلن عن روح الغد

انهم يصيحون فى يعاتبوننى
على انى الطير المنبوذ
فأشـعر كأننى سـحابة
عاجزة عن أن تتكسر الى قطرات
ومع هذا أنظروا أمامكم وبدونى
فالحصاد تلاشى والبذور ضاعت
أين نذهب
ولا تسمعوننى فأنا أتوسل للغضب
أتوسـل للعاصفـة
وأشد يدى الى الصحارى وراء القبور
وأقول للغضب اغرب وأقول
حول نيرانك الغاضـبة عن
المـوتى العظمـاء
وتحـول
ولم نحترق بما فيه الكفـاية
كفى حريق ملتهب وانظر
انظر الى ملابسنا القديمة وقبورنا وتذوق
بلسانك اللاذع حقيقة وجودنا بقايانا
ورمادنـا

ظهروا أولئك الذين يلعنون الموت

يتحدثون بألفاظ صارخة ومواقف واضحة
واثقون يسيطرون على الزمان
على ظهور خيولهم المتوجة

يتواعدون بالسعادة
وها هم قد وصلوا الآن بالورود الى نهاية مطافهم
هؤلاء الذين حديثهم يقين وظهورهم
فى اعتدال مهيب
الذين يزينون كل عدم أمامهم ويشيدون
الاهتمام من جديد
يزينون الأفق يشيرون بأصابعهم للنسيان
ونحن نتبعهم وسيقاننا مدماه
ونرقص فى محافلهم المميزة على سواها
بالحزن المسدل والمتكاثف أبدا

ها أنتم تحطمون لى القلب بهدوء
وأطفالكم على أكتافكم
ومن جديد كما هو العهد بكم
تعيشون أسرى للوعود
وتائهون فى طريق مجهول
ومع هذا فانكم تفترضون دائما
فى الرغبة أن نشاركم
من أجل المستقبل الحزين

كنت أود أن أغنى معكم غير أن هذا ما أعتبره لعنة لى
أن أغنى دون أن أكون على يقين
كيف أغنى دون أن أثق بكم
كنت أود أن اراهن عليكم غير أن هذا محض هراء
ان أمثالى يراهنون من درجة اليأس
فهم فى الوقت الذى يلعبون فيه خاسرون
يرفضون دوما التوقف أو التراجع

انهم لا يفهمون ألمى المكتوم
فكثيرا ما يحلون أحزمتهم ليضربوا بها الأنبياء السود
وكثيرا ما يحاولون اقناعى أن الجريمة ليست دينهم
لماذا يريدون أن افقأ لهم عيونهم
والجريمة واضحة
هذه الجريمة التى تمحونها بكلمة
أيها الرفاق
بلا جدوى استبعاد الجريمة

بلا جدوى بلا جدوى انكارها

أغنية القلب الملقى

أغنيــة لأصــم
يمشى ليــلا
أولاد الهــوى
لــون المطــر

شفتاك شاحبتان
ويداك تستندان
على حافــة بئر
لعدم وجود كتف صديق

لعدم وجود مــلاذ
بدون ظــل وراءك
لعدم وجود زرقــة السماء
ولا ســور للهاويــة

أغنيـــة الأعمى
الذى يبحث عن عصفور
بأصابعــه المــاهرة
فى ســماء الكلمــات

حيث لا شىء يتوهج
الا المتع المفتعلة
الذى لا تخفى النساء له
ســوى مجرد عطــر

الى البحر المنبسط
يذهب حافى القدمين
ويتحدث مع النجوم
التى لم يعرفهــا
وأنت يا أكثر
الأغــانى حزنا وصــمتا
لست لغــة أو موسيقى
بل بالكاد رعشــة

ان من تهديــة هديــة
لا يعــرف كيف
ينــام أخــيرا

اذا أنت كذبت عليه

أغنية بلا ذكرى
حب مزيف
كالنبيذ الذى لا يشرب
كالقلب الملقى

قصيدة فى الحب الضائع

الأزواج الذين جمعتهم
المصـــادفة
يبدو لهم الحب شيئا غريبا

عشـــاق ليلة واحــدة
الله أعــلم كيف
لبرهــة واحــدة
جاءوا وجلســوا

لفترة وجيزة
خفق القلب
وما كادوا يجتمعون
حتى افترقوا

قيــل وداعــا

فى نصف كلمــة
كأنهــم كانــوا
على شــفا النوم

يا أبنــاء الليــل
ويا أيتها الظلال القاسية
مروا فى صمت
فى الأزقــة

أغنية أخرى فى الحب الضائع

كما أخذها الله
تركها الحب
خارج كنيسته
وأجفانها مسدلة
الشفاه الحائرة
هل كانت كافية
للأشياء التى يقولها
العشاق المسرعون

أيتها العروس الزائفة
أيتها الأغانى المجنونة
سرعان ما تؤخذين
وسرعان ما تجرحين

ارتدى قميصك

يا خطيبي الوسـيم
قطفت الكرز
دون ما تفـكير

سرعـان ما يفيـق
وسرعـان ما يرهـق
مع هبـة النسمة
يكون قـد مضى

ايتها الطفلة ابقى جالسة
على شـفا الحفرة
تأجـل موعـد
الذهـاب للرقص

الحوارى الثالث عشر(*)

الى فلاديمير ماياكوفسكى

ذات مساء أو ليلة أو كما يقال فى ذات صباح
ستلمس قاع الظلال
حيث كل شىء قد انتهى
حيث يكف الناس عن الظهور
حيث يرى الناس على حقيقتهم
لا يهم لو بدت الحياة لا تطاق
فلن يختلف حول الأمر كل الناس

كلماتى تلك واضحة مثل
ما هو واضح بالدرجة التى يقال معها
انه واضح مثل

(*) هو يهوذا الاسخريوطى ، الحوارى الثالث عشر ، الذى سلم المسيح الى الجند بالاشارة المتفق عليها وهى تقبيل الخد ، وذلك مقابل ثلاثين قطعة من الفضة . وقد شنق نفسه فى فترة تالية .

واضح جـدا مثل
أكتب هذه الكلمات الجوفاء مثل عيون انسان
فى الثانية والسبعين من عمره
كل النـاس
منذ زمن بعيد منذ طفولتى وأنا
اخترع الآخرين واخترع
عالمـا بحجم أحـلامى
ذات مساء أو ليلة
وهو ما لم يكن ذات صباح
عرف كل البشر انهم من طين
كالطين الذى يحرك بالعصا
كل البشر بلا استثناء ولا حتى
صديقك الحميم
ولكن من ترى يكون صديقك الحميم
من الأفضل عندى انه ليس لدى أسوأ صديق
آه صـدقنى
ليس فى الدنيا أسـوأ من المثالية

هل الصديق هو الانسان الذى يخونك فى أوج صداقته
ومن هو الذى يخونك
انه يهوذا
الاسخريوطى

الحوارى الثالث عشر
فهو يعود دائما (*) هاها أمى من المستحسن أن أتحـدث عن
شىء آخر
فالانسان لا يكتب شعرا موضوعه طين
وهل حقيقة أنا ملزم بكتابة قصيدة
لا هـدف منها ولا غايـة
يا عزيزى اليك خدى
قبـله

(*) يرتبط هـذا ، الى حد كبير ، بقول الشاعر ج. نرفال :
الثالث عشر يعود ليكون الاول دائما
وفى ذلك غموض كبير فى المعنى

الفهـرس

الصفحة

رقم الايداع ٨٦/٢٨٥٩

الترقيم الدولى ٤ ـ ٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب